محمد قنانش



طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

ذكرياتي مع مشاهير الكفاح

دار القصبة للنشر

محمد قنانش



ذكرياتي
مع مشاهير الكفاح

من مصالي الحاج

إلــى

مفدي زكريا

عبد الحميد بن باديس

الأمير خالد

محمد العيد آل خليفة

أحمد توفيق المدني

آكلي بانون

جمال الدين سفينجة

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى الخمسين لاندلاع
الثورة التحريرية المباركة

دار القصبة للنشر
فيلا 6، حي سعيد حمدين – حيدرة – 16012 الجزائر

تدمك : 8 – 513 – 64 – 9961
الإيداع القانوني : 3068 – 2004

الكتاب الأول

ذكرياتي مع مصالي الحاج

مع مصالي الحاج
ذكريات !! وأحداث !!
في رفقته وأحاديثه



معالي الحاج يدير ندوة صحفية

1

ذكريات مع مصالي الحاج

من هو مصالي الحاج؟ كيف عرفته؟ اتصالاتي به، أحاديثه معي.
هو حجي ولد أحمد بن حجي بن سي بوزيان بمصلي، هكذا هو مسجل في الشجرة العائلية لبلدية تلمسان.

ولد في يوم 17 ماي 1898 بدار قادري بالدرب الفوقي، نهج باب الجياد الآن.

كانت تجمع عائلتنا بعائلة مصالي وبالأخص عائلة أخته الكبرى التي كان ينزل عندها ويقيم، حومة باب الجياد وكانت تضم حي «الرحيبة» وحي «سيدي الوزان»، وعرصة «ديدو» وحي «مصطفى». هذه الأحياء كانت مداخلها مختلفة ولكن سطوحها متقاربة ومتشابكة.

أما والده فكان يسكن بضريح الشيخ عبد القادر الجيلالي الذي كان قيّماً عليه من سنة 1922، بعد ما كان فلاحا صغيرا في قرية «الصفصيف». توفي الوالد في مارس 1938 عن عمر يناهز المائة سنة. وقد كان يردد على مسامعنا حينما نسأله عن مولده بأنه ولد وقت دخول الفرنسيين لتلمسان.

وكانت الزاوية الدرقاوية، المنتسبة للشيخ الحاج بن يلس، تجمعنا أيضا وكانت بنفس الحومة، ومقدمها هو صهره الحاج عبد القادر

ممشاوي، كما كانت مهنة أخيه الأكبر وصهره ووالدي وعمي مهنة واحدة، وهي صنع براميل الماء للبادية في الصيف، وأعواد العود في الخريف، وكل ما يهم الفلاحة في باقي السنة. وكان أخوه الغوثي شريكا لعمي الغوثي. وكانا متخصصين في صنع «القبيبات» لشرب الماء في المدينة، وتصنع من لوح العرعار صاحب الرائحة الطيبة.

وقد خلف أخوه الغوثي والده على ضريح الشيخ عبد القادر الجيلالي وعاش إلى سنوات الثمانين.

أول معرفتي به

لقد رأيته للمرة الأولى عند رجوعه من الخدمة العسكرية التي قضاها في فرنسا ويوم زيارة الأمير خالد لتلمسان سنة 1922. وكان عمري لا يتجاوز السابعة وذلك عندما خرجنا من الكتّاب على العاشرة والنصف، وسمعنا من مدرسة الشبيبة التي كانت في أول عهدها، النشيد الوطني الأول الذي عرفته تلمسان بمناسبة زيارة الأمير خالد للمدرسة، ويبدأ هكذا : هيا بنا أهل الوطن، نحي الفرائض والسنن وقد أصبح ينشد في كل المظاهرات إلى ما بعد سنة 1945.

وحين خرج الأمير من المدرسة، التي كانت بساحة «الخادم» وقد أصبحت الآن ساحة الشيخ الإبراهيمي، ذهب مع رفاقه إلى مقهى «الفلاسيي» وكانت خاصة بالبرجوازية الفرنسية. ووقفنا نحن الأطفال بعيدا عنها ننظر إلى ما يجري داخلها وخارجها، وبجانبنا رأينا شابا متحمسا ينظر إلى ما يجري أمامه وهو في حالة هيجان كأنه غير راض عما يرى. وهناك عرفنا أنه حجي مصلي كما كان يدعى في المدينة، ثم ذهب الجميع إلى قاعة البلدية التي لم تكن بعيدة أين ألقى الأمير خطابا لم نحضره ولم نستمع إليه، وقد رجعنا إلى ديارنا لنسد رمقنا.

ثم رأيته للمرة الثانية حينما زار تلمسان بمفرده في صيف 1924 ببذلته الأوروبية، وطربوشه التركي الطويل، ومشيته المستقيمة، وخيزرانته الأنيقة وكانت الموضة آنذاك والأناقة تستدعيها.

كان يمر بطريق «الكتاب» الواقع بحي مصطفى، وكان يقيم عند أخته في عرصة «ديدو» فكنا نقف مبهوتين، نتملى من رؤيته، ونستشف من خلال سلوكاته مستقبلنا.

وكنا نتمنى أن نكون على شاكلته، ثم زار عائلته في صيف 1925 مع رفيقة حياته، ولأول مرة نرى رجلا وامرأة في منتهى الأناقة يسيران جنبا لجنب، يتحدثان بلطافة، ويبتسمان في تؤدة وحيوية. والناس يقفون ليروا هذا العملاق الذي يمشي منتصب القامة، مستقبلا الحياة بتفاؤل ونشاط.

وقد اعتاد الناس عندنا أن يروا شبابهم منحني القامة، متعبا من طفولته، كأنما يحمل أكواما من هموم التاريخ ومشاكل الحياة، ولا يبتسم لأن البسمة تقلل من شأن الرجولة، ولأن البسمة شيء غريب في محيطنا الذي لم يحصل على المواطنة.



***

كان المجتمع الجزائري، بعد الحرب العالمية الأولى يعيش في ضيق شديد اقتصاديا ونفسيا، وقد أسكت صوت الأمير خالد الذي كان ينتظر منه الكثير. ونفى إلى سوريا مأسوفا عليه، ولم يبق إلا بصيص أمل كان يأتي من الريف المغربي، ومن زعيمه عبد الكريم الخطابي قبل أن تتكالب عليه إسبانيا وفرنسا لتحطيمه ونفيه.

وبقي الناس في أعماقهم ينتظرون - كطبيعتهم في الكوارث - من سيرفع رايتهم عاليا ويعيد إليهم توازنهم وآمالهم المنشودة. وقد سمعوا

بعد سنة بأن أبناءهم في باريس قد كونوا جمعية للدفاع عن مصالحهم، واسمها «نجم شمال إفريقيا» وتصدر جريدة «الأمة» بباريس في الثلاثين، ويصل العدد الثاني إلى تلمسان، ويدخل جار والدي العربي بوعياد إلى دكاننا، ويختلي بوالدي ليريه جريدة جديدة صغيرة الحجم، ويحدثه عنها وعن صاحبها الذي كان رفيقهم في الزاوية وفي التعليم.

ولقد استرقت النظر إليها خلسة ورأيت الهلال والكتابة بالعربية، وتمكنت من قراءة ما تحت العنوان وهو «جريدة وطنية للدفاع عن حقوق مسلمي إفريقيا الشمالية» وبقيت صورة الجريدة في ذهني حية، إلى أن بدأنا نتصل بالجريدة بطريقة سرية تارة، أو بالشراء، وترتفع قيمتها خمس مرات أو أكثر، حينما تصل عن طريق الباعة، الذين كانوا يجازفون ببيعها وفيه من الخطر ما فيه، وأخرى نحصل عليها بلا شيء ولكن بإرجاعها إلى صاحبها، وتصل من كثرة تداولها بين الأيدي إلى أن تتمزق إربا إربا، وتصبح كشيء مقدس يجب الحفاظ عليه، والتماس البركة منه.

لم أكن أحسن الفرنسية، لأنني لم أدخل المدرسة الفرنسية، وذلك لأن والدي كان يرى تعليمها كفرا، ولكنني كنت أقضي الليل كله في تفهم بعض جملها، وأسجل في ورقة بعض الجمل لأطلب تفسيرها من رفاقي، وبواسطة جريدة «الأمة» وتفهمها تحصلت على معلومات لا بأس بها في الفرنسية وفي السياسة وفي الحياة العامة.

ولقد رأينا مرة صورته - وصورة رفيقيه - في أعداد سنة 1934 بمناسبة محاكمته، واطلعنا على تصريحاتهم الشجاعة أمام المحاكم، وكم كانت نخوتنا واعتزازنا برجال لا يخافون الشرطة ولا المحاكم، وكل ما كنا نتمناه أن نحظى يوما بالتعرف عليه - بالخصوص - وبالحديث معه، والتملي من رؤيته، وهذا ما تحقق

سنة 1936 حينما رجع إلى الجزائر، بعد غربة دامت أكثر من عقد من السنين. وذلك بعد نجاح الجبهة الشعبية في الانتخابات التشريعية بفرنسا، وتقرير العفو العام عن السياسيين. ومن ضمنهم مصالي الحاج، وألقى خطابه التاريخي يوم 2 أوت بالملعب البلدي بالعاصمة، وقد كان أول تصريح بالاستقلال فوق الأرض الجزائرية، كحل طبيعي للقضية الجزائرية، عوض الاندماج كحل خيالي.

وفي يوم 15 أوت كان على موعد مع زيارة مسقط رأسه، وقد أخذنا القطار معه من قرية «أولاد ميمون» على بعد عشرين كيلومترا من تلمسان، وكنا ثلاثة : الأخ بومدين معروف، محمد بوحجر، والمتحدث. وقد صعدنا بدءا من الدرجة الأولى، ولم يكن فيها غير الموظفين السامين والكولون، وانتقلنا إلى الدرجة الثانية فكانت تضم الطبقة المتوسطة، من تجار وموظفين، ولم يبق إلا الدرجة الثالثة، وكانت تعج بالمسافرين، وكلهم جزائريون وبعد تفتيش دقيق، وسط أكوام من البشر، عرفناه بقامته الطويلة والمستقيمة، وبزوجته الأنيقة، وولده علي الذي لم يكن يتجاوز الخامسة من عمره، وكان الأخ معروف هو الذي وجده الأول ونادانا لتحيته.

وعند وصول القطار إلى محطة تلمسان، كان في استقباله جماعة من الشباب قدموا له كأسا من الحليب، وحبات من التمر، وقطعة من خبز الشعير، وألقى طفل صغير كلمة ترحيب، بعدها خرج الجميع خارج المحطة، أين استقبله عدد آخر من الشبان كانوا في انتظاره مع عائلته وألقى واحد منهم كلمة رحب فيها بالزعيم في موطنه، وبعدما سلم مصالي على أفراد عائلته، طلب الإذن بالانصراف معهم، ليأخذ قسطا من الراحة من تعب السفر الذي كان طويلا ومتعبا.

وفي المساء من نفس اليوم، أقيم حفل استقبال على شرف رئيس نجم الشمال الإفريقي، بمنزل أمام البستان العمومي، حضره شبان الحركة الوطنية، وممثلون عن الأحزاب السياسية المنتمون إلى الجبهة الشعبية.

وكان من نصيبي أن أفتتح الجلسة بكلمة ترحيب بالضيف والمدعوين، ألقى بعدها الأخ بومدين معروف، ككاتب عام لفرع تلمسان للنجم، كلمة بالفرنسية ضمنها التعريف بالحركة الوطنية وآفاقها. وأعقبه الأخ «الغوثي بن شلك» حول الحياة الاقتصادية وبعده تكلم الأخ بومدين الشافعي ممثلا للطلبة، وتلاه ممثل الجبهة الشعبية وكان اشتراكيا، ثم ممثل المؤتمر الإسلامي الجزائري، وكان الرفيق عبد الرحمن بوشامة، وأخيرا قام الرئيس مصالي الحاج، وألقى خطابا مطولا حلل فيه السياسة الدولية والمنعطف التاريخي الذي تمثله هذه الفترة، وبين وضعية الجزائر في هذه الإستراتيجية، وموقف النجم من هذه القضايا، وحذر من الاتكال على المطالب المستعجلة من غير نظام ولا كفاح، وحث الشبيبة على العمل المتواصل.

وانفض الاجتماع على السابعة مساء وصحبت مصالي الحاج وزوجته وولده في طريقهم إلى «باب الجياد» حيث تقيم عائلته وتحدثنا في الطريق عن تلمسان وعن عوائدها وتقاليدها وعن صغره فيها وبعض ذكرياته ثم انتقل إلى الحديث عن الجبهة الشعبية والحزب الشيوعي فقال لي بالخصوص : «إن الحزب الشيوعي قد أصبح ستالينيا، ولم يبق من الشيوعية إلا الاسم، «لينين» فمن واجب المناضلين أن يدرسوه وينتفعوا بتجاربه» وافترقنا على أن نذهب غدا إلى السوق لشراء ألبسة وطنية كان يتوق إليها.

2

الجزائر هي أقرب الدول العربية إلى الثورة

وحينما زرته في اليوم التالي وجدته يملي على زوجته مقالا لجريدة «الأمة» الذي هو مديرها السياسي، وكان عنوان المقال : «على هامش المؤتمر الإسلامي الجزائري»، وأوله هكذا: أيها الشعب الجزائري، إذا أردت أن تحيا وتفوز: نظم نفسك، وقد بدأه هكذا : «لو كنت معلما حريصا، وكان تلميذي الشعب، لطلبت منه أن يصرف فعل نظم نفسك، في جميع الحالات وبمختلف النبرات».

وبعد إتمام المقال أعادت زوجته عليه تغيير بعض التعابير، ففسر لها قصده منها، واقتنعت بتفسيره وجعلت المقال في غلاف، وكتبت عنوان الجريدة، وطلبت مني أن أجعله في صندوق البريد في طريقي. وخرجنا نتجول في طريقنا إلى السوق العربية، لاقتناء بعض الملابس الوطنية التي كان يتوق إليها، وكنا نمر ببعض الدكاكين الصغيرة وبعض التجار والحرفيين الذين كان يعرفهم فنراهم يحاولون الاختفاء عن مقابلته أو رد تحيته، لأن الخوف من الحكومة كان مستوليا على القلوب بشكل فضيع.

في طريقنا إلى محل الاجتماع الذي كان مقررا في ذلك المساء، التقينا في الطريق أحد معارف مصالي فسلم عليه ثم سأله كنوع

من التعجيز هل تطالب بالاستقلال لنرجع إلى ما كنا فيه من تأخر وتخلف وتناحر. فأجابه بلباقته المعهودة : هناك ضمان حضاري وهو وجود الأوروبيين معنا على أرض الجزائر، وهذ يدعونا إلى السير إلى الأمام معهم ويجنبنا رجوع البدو إلى المدن للقضاء على المكتسبات الحضارية. وقد أقنعه نوعا ما ثم قال ماذا عن اللغة الفرنسية أجابه على الفور: «إن اللغة الفرنسية مكسب حضاري لا يمكن الاستغناء عنه وهو باب للدخول إلى العصر».

وفي هذا المساء عقد أول اجتماع لإدارة فرع تلمسان للنجم تحت إشراف رئيسه. كان حديثه بسيطا وممتعا وعمليا، أضفى على الاجتماع نوعا من النشاط والديناميكية، لم تكن مألوفة لدينا.

وقد بدأ حديثه هكذا: «هناك أشياء عملية يجب أن تكونوا على علم بها، لأن حركتنا حركة نضال وكفاح مستمر، وهذا النوع من الحرية الذي نعيشه الآن، هو هدنة مؤقتة من طرف الاستعمار، فلا تغتروا بما ترونه الآن من هذا التفتح وهذه الحرية، وها هي بعض التعليمات الأولية التي يمكن الاستغناء عنها.

أولا: مع الشرطة لأنها ستكون دائما بجانبكم فإذا استدعيتم من طرفها باللسان فقط فلا تستجيبوا، بل يجب أن يكون الاستدعاء كتابيا ورسميا، وأمام رئيس الشرطة عليك بالإجابة على الأسئلة فقط باقتضاب، فإذا رأيت أنه يستدرجك إلى الحديث عن أشياء أخرى تقول له هل أنا متهم؟ فإذا أجابك بلا فلم يبق لك إلا أن تطلب الخروج وتتوقف عن الإجابة. أما إذا قال لك بأنك متهم فلا تجيب إلا أمام قاضي التحقيق وبحضور محاميك. وتطلب دائما مترجما لأن الواجب يقضي عليك بأن تتكلم لغتك حتى ولو كنت تحسن اللغة الفرنسية ثم لأن وقت

الترجمة يسمح لك بالتفكير في الإجابة، ولا تكن ثرثارا، بل أجب بكلمة أو كلمتين. وحين تجلس أمام قاضي التحقيق حاول أن تجابهه لئلا يؤثر عليك... وقبل أن تمضي التقرير الذي يقدمه لك قاضي التحقيق يجب أن تقرأه مليا وترفض الإمضاء إن كانت هناك تعابير لم تعجبك أو لم تفهمها. وقبل التفتيش في المنازل أو في الكتاب أطلب دائما صك التفتيش».

ثانيا: حدثنا عن اتصالاتنا بالغير وأعطى لها أهمية كبيرة، فقال : حينما تقابلون إنسانا سواء كان صديقا أو خصما أو عدوا فاتركوه يتحدث لتتعرفوا على نواياه وما يرمي إليه وحاولوا أن تكونوا فكرة عنه لأن النقطة الأولى للمناضل، هي أن يكون له حدس يصنف الأشخاص الذين يقابلهم ويتحدث معهم. ويجعل كل واحد في مقامه.

ثالثا: هو أن يعرف المناضل كيف يطالع الصحافة ويقيّم الأخبار وأن يقرأ ما هو مكتوب بإمعان، ويدرك ما لم يكتب بين السطور، وكل تكذيب لخبر هو إثبات له وتحقيق.

رابعا: الاتصاف بروح المبادرة، فحينما يكون المناضل في مأزق، يجب عليه أن يفكر كيف يخرج من مأزقه بوسائله الخاصة. ثم تطرق إلى موضوع الثورة التي كان الناس يتخوفون منها. فتحدث عنها كشيء طبيعي لا يحتاج إلى تفسير أو مناقشة، ويرى بأنها ضرورية لتغيير الأوضاع السيئة التي نعيش فيها من استعمار وتخلف. والثورة كما يراها يجب أن تكون شمولية : سياسية وثقافية واجتماعية وغيرها، ولا يمكن أن نتحرر من الاستعمار ونرجع إلى ما كنا عليه من تخلف وتأخر. وواجبنا يقضي علينا بأن نلتحق بالقافلة الحضارية التي بعدت عنا وذلك بالثورة على أنفسنا وعلى وضعيتنا. والجزائر هي

أقرب الدول العربية إلى الثورة، لأن الاستعمار لم يترك لها هياكل قديمة أو أسرة مالكة أو تقاليد تقف في طريقها، بل الثورة بالنسبة لها أمر طبيعي وممكن ولا يحتاج إلى عناء كبير. وكان يستدل في أحاديثه عن الثورة بدولة الموحدين وزعيمها ابن تومرت، وما قام به من تغيير في جميع المجالات. وقد أسس نوعا من الايديولوجية خاصة بالمغرب والأندلس، وقد طلب منا أن ندرس هذه الفترة من تاريخنا بكل جدية.

لا خيار لنا إلا الاستقلال

وكان يظهر من خلال أحاديثه الجياشة حينما يجد الجو الملائم، ويجد الشباب الذي يستمع له ويتأثر بنبراته العاطفية الصادقة، أنه كان يحلم بتكوين شباب جزائري جديد يقوم بتكوين مجتمع متحضر يكون مثالا للشعوب العربية وللأمة الإسلامية على السواء. وكان يؤمن إيمانا راسخا بأن الشاب الجزائري يمكنه أن يأتي بالمعجزات، إذا وجد من يساعده على تحمل المسؤوليات وعلى تمرينه على المبادرات الفردية لتخريجه من تقوقعه داخل تقاليد وعادات لا تمت إلى الحياة بصلة. والوعي الوطني في إطار تربية سياسية تفتح له الأبواب على مصراعيها للتفكير والمبادرة والتخطيط والعمل. لقد كانت له تجليات صوفية استعملها في التحليلات السياسية وعلى منظورها يكون له رؤية خاصة للمستقبل حين تسمعها تحس بأنها لا تحتاج إلى تفكير وتحليل. وهكذا اقتنعت أن السياسة نوع من التصوف، والسياسي يجب أن يكون فنانا متصوفا يستجلي المستقبل وتطوره وأن تكون له رؤية واضحة شفافة تعينه على طرح المشاكل المتباينة، وإيجاد الحلول المناسبة لكل مشكل.

وقد استدعي مرة من طرف بعض المعلمين الفرنسيين، وكان أغلبهم ينتسب إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي، وكان رئيس الحكومة آنذاك اشتراكي، وكانوا ينوون تعجيزه لأنهم كانوا يعتقدون أنهم وحدهم أصحاب الرأي والمعرفة، وما عداهم فلا شيء. وكان سؤالهم الأول يحمل نوعا من السخرية وكان هكذا : «إن مطالبتك بالاستقلال أمر غير معقول ولا يمكن تصوره. إننا نطالب بالاندماج منذ ثلث قرن ولم نحصل حتى على فتات منه. فكيف يمكنك أنت أن تطلب استقلال الجزائر. فأجابهم ببساطة معهودة وبحماسه المتدفق بأن الاستقلال شيء طبيعي وممكن، أما الاندماج فغير طبيعي وغير ممكن لا عقليا ولا تاريخيا ولا عمليا. والاستقلال موجود منذ أوائل هذ القرن، ويتمثل في المجلس المالي الذي يستغله الكولون كما يريدون. فإذا نظم ديمقراطيا وشارك الشعب الجزائري في انتخابه يصبح برلمانا جزائريا، وبما أننا الأغلبية نكون أصحاب الحل والعقد. وأقول لكم - رغم تعلمكم - أنكم تعيشون في الأوهام لأنكم تخافون من الحقيقة، ولو فكرتم قليلا لوجدتم أن الاندماج خرافة يلهونكم بها أساطين السياسة الاستعمارية كفيوليت وغيره، ومهمتكم الأساسية كمعلمين أن تقوموا بدوركم في تعليم أبنائنا تعليما وطنيا، وتربوا هذا الجيل الذي بين أيديكم تربية صحيحة، وهكذا تكونون قد شاركتم في بناء وطنكم، فكل واحد منكم يمكنه أن يكون وطنيا إذا قام بدوره التربوي. وهنا بهتوا ولم يبق لهم إلا أن يتسللوا الواحد بعد الآخر وكأن على رؤوسهم الطير. وهكذا يكون الحوار هو السبيل إلى التفاهم وإلى احترام رأي الآخر.

الخطاب الرزين

كانت العادة أيام الأحد، العطلة الأسبوعية، أن تتعدد الاجتماعات السياسية صباحا. وفي هذا الأحد بالذات قد عقدت «لجنة السلم» تجمعا كبيرا بقاعة البلدية، ومسيرو اللجنة أغلبهم من المعلمين - إن لم نقل كلهم - ولهذا كان الاجتماع نخبويا أكثر منه جماهيريا.

وقد حضرت مع مصالي الحاج الاجتماع، وطلب الكلمة كعادته، وبعد ما صعد إلى المنصة شكر اللجنة على السماح له بالحديث، وبدأ بانتقاد بعض الخطباء الذين سبقوه، على تجاهلهم القضايا الوطنية تماما وترديدهم لكلمات السلم لشعب لا زال مغلول اليدين تحت قوانين الانديجينا وغيرها من القوانين الاستثنائية، وهو يعامل في وطنه كغريب أو كخادم لا حق له في الحياة، فالواجب عليكم، والحالة هذه، أن تعينوا هذا الشعب حتى يتحرر من قيوده، ويسترجع كرامته. هنالك يسمع لكم ويفهمكم ويساعدكم، وختم حديثه بنداء إلى العمل على تحرير الشعوب لضمان السلم في العالم.

وبعده قام أحد المعلمين الجزائريين، فانتقد مصالي الحاج على عدم إيمانه بالسلم، فما كان من مصالي إلا أن طلب الكلمة مرة ثانية ليجيب على الانتقاد الموجه إليه، وقال: يؤسفني أن أعود إلى المنصة لأهمس في أذن الأخ المعلم، بأن استيلاء إيطاليا على الحبشة بين سمع عصبة الأمم وبصرها ليست ببعيدة عنا.

وأنبه المتعلمين بأن التعلم شيء والسياسة شيء آخر، ولا يمكن لطبيب أو مهندس، أو معلم أن يكون سياسيا لأنه دخل المدارس وتعلم عدة علوم.

وقد انفض الاجتماع على الكلمات الأخيرة لمصالي.

كان مصالي - رحمه الله - حين يقف على منصة الخطابة لا يتزعزع عن مكانه، بل يبقى كأنه مسمر في موضعه، وكانت زوجته تود لو يقلع عن هذه العادة - لأن استقرار الخطيب الثوري في مكانه لا يتزحزح عنه، قد يعرضه لخطر ما كمؤامرة ضد حياته أو غيرها، لهذا يجب أخذ الحيطة والحذر.

ولقد سمعته يتحدث في التجمعات المرات العديدة، وبهرتني فصاحته وعدم تلعثمه وذهلت لقوة ذاكرته، فبإمكانه أن يرد على عدة معارضين، الواحد تلو الآخر والنقطة بعد أختها من غير تسجيل ولا توقف.



مصالي الحاج في الخدمة العسكرية بمدينة بوردو عام 1916.
(الأرشيف الخاص للسيدة بن قلفات، بنت مصالي)

3

مصالي الحاج والأمير شكيب أرسلان

كان الحديث يوما عن الأمير شكيب أرسلان والشخصيات التي تعرف عليها مصالي بجنيف. وقد حكى لنا عن الأيام التي قضاها هناك والمواضيع التي تطرقوا إليها معه. وقد كانوا يجهلون كل شيء عن الحالة السياسية والاجتماعية في الجزائر، ووجوده هناك كان وسيلة لتعريفهم بحقيقة الواقع. وقد جاءته رسائل من بعض الشخصيات حينما كان بتلمسان يطلبون منه بعض المعلومات.

وبالمناسبة طلب مني أن أكتب لهم رسائل بالعربية لربط الصلة معهم. وطلبات مصالي أوامر يجب أن تنفذ في حينها، ففكرت كثيرا لأنني لم أكن متعودا على مكاتبة مثل هذه الشخصيات، واستعنت بالشيخ الهادي السنوسي الذي كان صديقنا، وكان معلما بتلمسان لكتابة الرسالة الأولى لعطوفة الأمير شكيب أرسلان، ثم كتبت رسالة إلى رفيق الأمير السيد إسعاد الجابري، ورسالة أخرى إلى الصحفي الكبير والشاعر الوطني الشهير الأستاذ علي الغاياتي الذي كان منفيا من مصر، وكان مدير جريدة «منبر الشرق» التي كانت تصدر بجنيف

بالفرنسية، ثم بدأت تصدر في مصر بالعربية، وكان لها صدى كبير في الأوساط الوطنية.

شهادة الأمير

وبعد الرسالة وصلتنا أعداد من مجلة «الأمة العربية» التي كان يصدرها بجنيف، ووصلنا العدد الخاص الذي رد فيه الأمير على مجلة «Vu» التي اتهمته بالعمل مع إيطاليا وتهجمت على نجم الشمال الإفريقي بسببه، وقد أفحمها بردوده وشرح حدوده مع النجم ومع رئيسها مصالي الحاج.

لقد تعرف مصالي على الأمير شكيب أرسلان سنة 1932 بواسطة الأستاذ محمود سالم باي الذي كان يسكن بباريس بعدما كان قاضيا دوليا بمصر وهو صاحب مبادرة المؤتمر الإسلامي الأوروبي بجنيف سنة 1935.

وقد استفاد مصالي الحاج من الشخصيات السياسية التي تعرف عليها بجنيف وأفادها بتجربته النضالية في إطار التنظيم الجماهيري، منبها إياهم إلى أن سياسة النخبة المعتمدة على التصريحات والمقابلات قد فات أوانها، كما لفت نظرهم إلى إمكانية استغلال الأحزاب اليسارية وكتلها للوصول إلى بعض الحريات التي تساعد الشعوب العربية في السير إلى الأمام.

ويمكن القول إن زيارة الأمير باريس في أوائل 1937 كانت من تأثير مصالي.

وفي آخر شهر أوت أي بعد أسبوعين من وصوله إلى مسقط رأسه، قرر زيارة مدينة سيدي بلعباس بدعوة من جماعة من المحبين كانوا زاروه في تلمسان، وقد رافقته في هذا السفر. وفي

القطار أعاد علي ما أوصاني به من قبل لتنبيهه إلى الكلمات العربية التي ربما يستعملها في غير محلها أو لا تناسب الجو السائد. وقد أصبح يستعمل الكلمات الفصيحة في حديثه ويسألني عن معاني كل كلمة يسمعها أو تظهر له أثناء المحادثة، وقد أصبح له رصيد لا بأس به ويتحدث بطلاقة وبانتقاء الكلمات المعبرة. وقد نزلنا في ضيافة الأخ الجيلالي الباديسي الذي كان يزوره دائما في باريس وكان على اتصال وثيق به، وفي المساء استدعينا إلى عشاء في بستان وسط المدينة، وأثناء حديثه مع الجماعة التي كانت معنا أخبر بمعلومات محزنة في الناحية ومعاملات من طرف الكولون تقشعر لها الأبدان فاغتاظ وظهر عليه التأثر، دفعه إلى الانقطاع عن الأكل، وقبل إلقاءه الخطبة، كان ينفعل كثيرا ولا يمكن لإنسان أن يقترب منه أو يحدثه، وبما أني كنت بجانبه فقد أثر علي وتوقفت بدوري عن الأكل، وسرنا رأسا إلى النادي الأدبي حيث كان جمهور من الناس في انتظارنا، وبعد تقديمه من طرف رئيس النادي والترحيب به، دعاني أن ألقي كلمات بالعربية فقمت بالرغم مني ولم أتذكر ماذا قلت، ثم قام فألقى خطابا أودعه ما كان يختلج في صدره من حنق على الاستعمار. ونواحي سيدي بلعباس مراكز استعمارية معروفة حتى أنها كانت تنعت «ببرلين» وكانت مثالا للنازية المتوحشة.

وقد استراح مصالي بعد خطابه وانشرح كعادته للحديث مع الناس، ولم يكن مكبر الصوت معروفا، ولكن صوته كان يسمع من بعيد وقد زرت عائلتي التي كانت تسكن في الناحية، فأخبروني أنهم سمعوا كل ما قيل ولا سيما خطاب مصالي الذي كان صوته يغني عن المكبر.

وفي الصباح ذهبنا برفقة الأخ الجيلالي الباديسي إلى مدينة «عين تموشنت» وكان فيها فرع للنجم لا بأس به. وكان اليوم يوم أحد، يوم عطلة فالتقينا بلجنة الجبهة الشعبية ومعها «لجنة السلم» ورئيسها كان معلما هناك.

وقد تعرفنا عليه في تلمسان، أسبوعا من قبل واحتفلوا بنا، وأعيد إلى الأذهان حديث مصالي بتلمسان وأعجبوا به، وشكروه على أن نبههم إلى ما يجب عمله.

وعلى الساعة الثانية أقيم اجتماع بدار النقابة وألقى مصالي فيه خطابا باللغتين، وكان الاجتماع ناجحا، وبعده خرجنا لزيارة الحي الشعبي «خارج المدينة» حيث لا ماء ولا كهرباء ولا طرقا معبدة، إلا بيوت القصدير البالية، وأخذنا صورا مع أصحاب الحي في حالتهم التعسة، لتنشر في الجرائد، وكان برفقتنا مسؤول من الحزب الشيوعي الفرنسي عرف مصالي بباريس وقضى مدة في الجزائر، وكان على أهبة الرجوع إلى فرنسا، وقال لمصالي قبل فراقنا معه، لا يمكن للحزب الشيوعي أن ينجح في الجزائر، لأنه ينظر إلى المشاكل الجزائرية بمنظار فرنسي، وتجربتي هنا كانت بغير نتيجة، وحركتكم هي الوحيدة التي يمكنها أن تنجح، لأنكم تحسنون إحساس هذا الشعب، وتتكلمون لغته وتعرفون طبائعه، ثم ودعنا بقرب المدينة وانصرف، ورجعنا في اليوم نفسه إلى مدينة سيدي بلعباس التي كنا ننتظر فيها من طرف «نادي النجاح» الذي ينتسب إلى جمعية العلماء وجماعة المؤتمر، وقد وجدناه غاصا بالجمهور حتى أننا لم ندخل إلا بشق الأنفس، وقد استقبلنا الأستاذ مصطفى بن حلوش الذي كان يلقي دروسه هناك وألقى كلمة قيمة رحب فيها برئيس النجم، وحث

الناس على حب الوطن والعمل من أجله، ثم دفعني مصالي إلى المنصة كعادته لأعرف بالحركة الوطنية وما تهدف إليه، واشكرهم على هذا الاستقبال الحار ثم تقدم هو فألقى خطابا جامعا لا اتذكر محتواه، ولكنه نال تصفيقات حادة من طرف الجمهور وفي يوم الغد - الاثنين - رجعنا إلى تلمسان مع قطار الصباح.

وبمناسبة معاهدة مصر مع الإنجليز، ومعاهدة سوريا مع فرنسا بعث مصالي ببرقيتين الأولى إلى عاهل مصر، والثانية إلى رئيس الحكومة السورية، يهنئ فيها الشعبين الشقيقين ويتمنى لهما مستقبلا سعيدا، وقد قامت قيامة مصلحة البريد، لأنهم للمرة الأولى يبعثون ببرقيات من هذا النوع وقد تكلّفت البرقيتان خمسمائة فرنك في ذلك الوقت، ونشرت البرقيات في جريدة «الليالي» التي كانت تصدر بالجزائر.

وأقام «نادي الرجاء» في أول عهده احتفالا برئيس النجم، وحضر الاحتفال الشيخ البوديلمي وكان في أول عهده بتلمسان، وألقى كلمة حول الوطنية ثم استدعى مصالي من طرف «نادي السعادة» وكان الاحتفال خاصا بأصحاب النادي، وقد رحب به رئيس النادي في كلمة قصيرة.

دفعني مصالي كعادته إلى أن أقول كلمة قبله، فشكرت لنادي السعادة مواقفه من يوم تأسيسه في الثلاثينات.

وقلت بالخصوص لقد فتح النادي أبوابه للإصلاح، حينما كانت الأبواب مقفولة أمامه، وكان خير ملجأ لمؤتمر طلبة شمال إفريقيا في السنة الماضية، حينما أغلقت في وجهه قاعة البلدية، وها هو اليوم يستقبل الحركة الوطنية، ويكرم رئيسها في هذا الحفل البهيج، ثم أخذ الكلمة مصالي وتحدث عن الحالة الحاضرة

بإسهاب، وحث الحاضرين على العمل والنظام، لأن الحالة تستدعي منا جهدا كبيرا وتضحية.

كما زار الزوايا الموجودة بالمدينة على اختلاف مشاربها، وكان يعتبر الزوايا مراكز للتوعية والتكوين واجتماعاتنا الأولى كانت في الزوايا، ولا سيما الزاوية الدرقاوية المنسوبة إلى الشيخ بن يلس، والذي كان من مريديها في شبابه، كما كان يقوم بأداء صلاة الجمعة بعيدا عن المدينة حتى يتصل بالشعب والفلاحين. وهكذا زار جامع سيدي أبي مدين، وجامع عين الحوت، وقرى أخرى كان يذهب إليها مع بعض معارفه.

وقبل رجوعه إلى العاصمة نظمنا تجمعا كبيرا بنادي «أحباب روسيا» الذي كنا مشاركين فيها تكلم فيها بأسهاب عن قضايا الساعة، وشرح نظرية الحركة الوطنية، ونبه الحاضرين إلى أن الحرية الموجودة الآن مؤقتة، ولهذا فلا نغتر بالمظاهر، ودعا في الأخير إلى النظام والنوعية.

وبعد رجوعه من جولته في الشرق الجزائري، وصل إلى تلمسان في أوائل نوفمبر، وكان يتهيأ للسفر إلى باريس، وذهب معه إلى رئيس البلدية ليحصل على الورقة الصفراء التي بغيرها لا يمكن لأي جزائري أن يقطع البحر إلى فرنسا، وهذه الورقة تؤخذ من البلدية وبدأت التعطيلات والتهرب من مقابلته، وأخيرا هددهم بمظاهرة عظيمة، إن لم يحصل عليها في أقرب وقت. فما كان من رئيس البلدية «فالور» المعروف بمنهجيته، إلا أن استجاب له في الحين، وذهبت معه برفقة الكاتب العام بالبلدية إلى منزل «المير» وقد عرض علينا الكاتب العام السيارة بجانبه، ولكن مصالي رفض وذهبنا راجلين بجانب السيارة، والناس

يتساءلون عن هذه المسيرة وقضيتها، وكانت الساعة التاسعة صباحا حينما أخذ ورقته الصفراء وذهب رأسا إلى القطار.

ورجع إلى باريس يوم 8 نوفمبر 1936 ليجد في انتظاره قاضي التحقيق، ويجد مشاكل الحزب التي تفرعت عن غيابه، ويجد خيوط المؤامرة تتشابك ضد «نجم الشمال الإفريقي» ابتداء بتصريح «راوول أوبو» الكاتب العام لوزارة الداخلية في البرلمان الفرنسي، إلى تغيير سياسة الجبهة الشعبية فيما يخص المستعمرات والديمقراطية الجديدة.



مـصـالي الـحـاج

زوجة مصالي... السيدة والمدرسة

لقد كان حديثي الأول عن الزعيم مصالي الحاج، وتعرفي عليه وأحاديثي المختلفة معه، وتسجيلي لبعض أحاديثه الشيقة، وتوقفت في أواخر 1936 حينما قفل راجعا إلى باريس ليقدم تقريره إلى اللجنة المركزية عن زيارته للجزائر، وما قام به من اتصالات وتنظيم فروع ودراسة للوضعية العامة. وقد قضى ما يقرب من ثلاثة أشهر بين غرب الجزائر ووسطها وشرقها، وبعدما ركز في خطابه التاريخي يوم 2 أوت 1936 على مبدأ الاستقلال كحل جذري للقضية الجزائرية، وخطابه كان ضربة في الصميم للفكر الاندماجي الذي كان ضاريا أطنابه حتى عند الإصلاحيين الدينيين.

الزوجة القدرة

ومن الوفاء لهذه الشخصية العظيمة وللتاريخ - أيضا - أن أتطرق ولو بايجاز إلى دور المرأة في حياته، وإذا كان كل عظيم امرأة كما يقولون فلا مجال لنا إلا أن نتحدث عن هذا التأثير.
فقد كانت وراءه أولا : أمه التي قادت مسيرته في صغره وفي شبابه، وكان يكن لها كل حب وإجلال، ويتحدث عنها بفخر

واعتزاز. فبعد رجوعه من الخدمة العسكرية في فرنسا، ومحاولته الاستقرار بمسقط رأسه تلمسان، عصفت بها رياح الموت سنة 1922، وقد تألم لفراقها، وبعد موتها أحس بأنه لم يبق له ما يشده إلى البقاء في هذا الجو الخانق، وقد بدأت الشرطة تتابعه. عندما وقف على كرسي بمقهى «التيزاوي» ونادى بأعلى صوته، «يحيا مصطفى كمال»، تحي تركيا، وكانت المقهى غاصة بالناس وببعض السياح الأمريكان، وكان يغني فيها الشيخ العربي بن صاري الغناء الاندلسي، وقد جرب التجارة مع خاله في قرية «ديكارت» ورأى الاستغلال العائلي الذي كان ينتظره، وقد امتهن عدة حرف ولكنه لم يجد نفسه ولا حريته التي كان يحلم بها.

وقد قرر الانتقال إلى فرنسا ليجرب حظه، ويحقق بعضا من طموحاته، كما كان يأمل أن يجد في سفره هذا ما يعوض عن حنان أمه وغيابها إلى الأبد، ويفتح مواهبه وتغيير وضعيته.

وما أن حط بباريس وزار عائلة الطبيب التي كان متصلا بها بتلمسان في صغره، والتي ساهمت في تكوينه الثقافي بتقديمها له الكتب التاريخية والثورية لمطالعتها والتسلي بها، حتى تعرف على فتاة أحلامه، وكان الاختيار من صنع امرأة الطبيب التي كانت تعامله كابنها... وهكذا أصبحت هذه الفتاة المنتمية إلى عائلة عمالية والآتية من حدود ألمانيا، رفيقة حياته وساعده الأيمن في تخطي المتاعب، تقاسمه الأفراح والأحزان، راضية قانعة بدورها النضالي في سبيل إسعاده، وتحقيق رغباته.

لقد كانت تقوم بدور الوسيط بينه وبين المناضلين حينما يكون في السجن أو المهجر أو في المنفى أو الإبعاد. وما أكثر ما كان يتقلب بين هذه المراكز ابتداء من سنة 1934، وكانت الشعلة

المتقدة أثناء غيابه، فقد تكونت نخبة من المناضلين تحت تأثير شجاعتها ونشاطها، ومن ممارستها للنضال السياسي الذي لم نكن نعرف عنه شيئا.

لقد أقامت السيدة مصالي بتلمسان أكثر من تسعة أشهر، كانت تقوم خلالها بعدة أدوار: الدور السياسي بتتبعها لكل ما يجري في العالم من أحداث وتقلبات بواسطة الصحافة، لأن الإذاعة لم تكن قد انتشرت بعد، وتفسيرها لنا، وقد كنا في أوائل عهدنا نتابع الأحداث السياسية وفهمها والتلازم مع نتائجها، وكانت سنة 1936 غامرة بالأحداث والمفاجآت على الصعيد الدولي، فالفاشية والنازية من جهة والعالم الرأسمالي من جهة أخرى والحرب الأهلية بإسبانيا يجرب فيها المعسكر الشرقي والغربي أسلحتهما وديبلوماسيتهما.

السيدة - المدرسة

فلقد تعرفنا على أسلوب النضال السياسي في فرنسا، وخاصة كل حزب على حدة، وعلى استراتيجية الأحزاب اليسارية وتنظيماتها، ومواقفها بالنسبة للقضية الجزائرية وللمستعمرات. كما عرفنا منها أيضا ملامح من حياة مصالي الخاصة كمناضل وكزوج وكأب وعرفنا طبائعه، وأساليب تجاوبه مع الأحداث، وردود أفعاله المختلفة، قد تحدثت لنا عن أول خطاب له أمام الجمهور وارتباكه وتوقفه عن الحديث، وكيف بدأت تهدئه وتشجعه، وكانت هذه المرة الأولى والأخيرة التي تقع له فيها هذه الصدمة.

ثم دورها الاجتماعي الذي كان يتمثل في الاتصال بعائلة المناضلين ومساعدتهم على تبني الأساليب الحديثة في تربية الأبناء والتمريض وعلى أساليب الطبخ البسيط والمفيد.

وكان أن تحدثت بالنيابة عن زوجها في اجتماع وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري أثناء زيارته لتلمسان، وكان من المفروض أن يحضر مصالي نفسه، ولكن وقع له تعطيل في المواصلات، وذهبت في غياب زوجها إلى سيدي بلعباس لتعين المناضلين هناك على أخذ الكلمة وانتقاد المؤتمر فيما يخص إلحاق الجزائر بفرنسا، وكانت لا تفهم ترددنا أمام الخصوم وخوفنا من أخذ الكلمة ولقد اعتادت هي الحياة السياسية في فرنسا، وممارسة الحرية في الحديث وإبداء رأيها بشجاعة، أما نحن فقد كنا نجر وراءنا ركاما من التخلف وأودية من التردد، ولم نتعود بعد على الحديث أمام الجماهير، ولا الدفاع عن رأينا.

أذكر أنها تلقت رسالة من زوجها بعد وصوله إلى باريس، كتبها بأسلوب ساخر على طريقة الأغنية التي كانت معروفة آنذاك، وعنوانها : أيتها السيدة لاماركيز كل شيء على ما يرام، وأصلها أن خادمة كانت تحرس قصر السيدة لاماركيز، وقد احترق القصر وضاعت محتوياته، وكانت تحكي لها بالغناء وتعيد عند كل مقطع، ومع هذا كل شيء على ما يرام.

وقد بدأ رسالته هكذا : فعشنا الصغير الذي تركناه، قد فقد أشياء هامة، ولكن الحمد لله فكل شيء على ما يرام، وفي حركتنا السياسية، وجدت جوا غير الجو الذي تركناه: مناوشات وانتقادات ومع هذا فكل شيء على ما يرام، وقد دعيت من طرف قاضي التحقيق لأجيب عن بعض التهم القديمة المتجددة، وعن ما تبيته الحكومة الجديدة، وحاولت بلباقتي وتمرسي لمثل هذا التهم أن أقلل من شأنها، وأنفي البعض منها، وبالرغم من هذا كله، فكل شيء على ما يرام كما تقول الأغنية.

وكانت رسائله مع زوجته قطع أدبية سياسية، لو احتفظ بها لكانت تحفة نستشف منها أسلوبه الساخر وتعبيره عن واقعه المر بروح فياضة بالنكتة وتذليل الصعاب، كما أن أجوبتنا له كانت أكسيرا يمتزج فيها الحب والاعتزاز بالذكريات الحلوة التي عرفاها معا، وبالأشياء الجميلة والمريحة التي تمتعا بها معا وأخيرا بالقراءات المسلية والمفيدة التي لا زالت في ذاكراتهما يرتشفان منها كلما حن كل واحد منهما إليها.

وبعد حل نجم الشمال الإفريقي (26 جانفي 1937) وتأسيس حزب الشعب الجزائري (11 مارس 1937) انتقلت إلى العاصمة حينما رجع زوجها وبدأ يركز النظام الجديد لحزب الشعب في الجزائر.

وقد ظهرت بجانبه في مظاهرات 14 جويلية الأولى من نوعها في الجزائر، تحت العلم الوطني - الذي كان من صنع يدها في فرنسا 1934، وشاركت في صنعه بتلمسان، وهو الذي وصل إلى العاصمة.

وبعد اعتقال زوجها ورفاقه (27 أوت 1937) تصدرت الجماهير للاحتجاج بباب السجن، وذهبت إلى الولاية العامة للاحتجاج على رأس وفد من الحزب، كنت من ضمنه، ولم تقبل إلا هي فقط، وحاولا استمالتها إليهم ولكن من غير طائل، وعندما أضربوا عن الطعام للمطالبة بالسجن السياسي (من أول أكتوبر إلى العاشر منه) كانت الوحيدة التي يمكنها أن تدخل إلى الولاية العامة وتحتج على المعاملة التي يعامل بها الوطنيون في عقر دارهم وتركهم يموتون جوعا وبعد حصولهم على السجن السياسي هي التي هيأت لهم الأكل المناسب لحالتهم الصحية.

وأمام المحاكم كانت الأولى التي تقابل المحامين - سواء من فرنسا أو من الجزائر - وتتظر معهم في الطرق التي يدافعون بها عن المعتقلين. كما كانت نعم العون لرفاق مصالي في السجن. واذكر بهذه المناسبة أنها هي التي كانت السبب في وصول الكتب والألبسة إلينا، لأن عائلاتنا كانت بعيدة عنا وليس في إمكانها أن تقوم بأي شيء في صالحنا، حتى رسائل العائلة كانت تختفي عنا كثيرا.

وبما أن السيدة مصالي كانت كثيرة الاهتمام بصحة زوجها ليقوى على المقاومة، فقد تخطط له ما يحتاجه جسمه من مقويات وفيتامينات، وما تحتاج إليه قامته وخطواته وتقدمه في السن، كل هذه الأشياء كانت مخططة - من طرفها - ومدروسة بصفة دقيقة، أما هو فكان يهتم بحلقه لأنه يتحدث كثيرا فالسكر وقطع الحلوى لا ينساها.

5

نداء مصالي إلى الأمة الجزائرية

صدر في الجزائر بعد رجوعه إلى فرنسا في صفحة كبيرة ووزع بالجزائر كلها. النص الفرنسي لم نطلع عليه. وأظن أن مصالي أملى على مفدي زكريا المضمون وزكريا تصرف فيه كعادته فالنداء لمصالي والأسلوب والتوسع لشاعرنا مفدي زكرياء.

نداء 12 نوفمبر 1936

من مصالي حاج إلى الأمّة الجزائرية الكريمة

أَيُّهَا الشَّعْبُ الجَزَائِرِيُّ !!

سَلاَمٌ عَلَيْكَ من ابن أَقْسَمَ باللّه أَنْ يُضَحِّي فِي سَبِيلِ حُرِّيَّتِكَ وَسَعادَتِكَ حَتَّى آخِرَ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِه، وَآخِرَ جزْءٍ من روحِه، وآخِرَ نَفَس مِنْ رَمَقِ حَيَاته! ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[1]

سَلاَمٌ عَلَيْكَ يَا شَعْبُ يومَ وُلِدْتَ حُراً عَزِيزاً، ويومَ نَشَأْتَ حُراً شَرِيفاً، ويومَ تُصْبِحُ بِإِذْنِ اللّه حُراً طَلِيقاً، تُرَفْرِفُ عَلَى هِضَابِ المَجْدِ أَعْلاَمُكَ، وتَتَنَاوَلُ نُجومَ السَّمَاءِ أَحْلاَمُكَ، ويَنْتَصِرُ لَكَ فِي العَالَمِينَ إِيمَانُكَ وإِسْلاَمُكَ

1. الواقعة [56] الآية 76

5

نداء مصالي إلى الأمة الجزائرية

صدر في الجزائر بعد رجوعه إلى فرنسا في صفحة كبيرة ووزع بالجزائر كلها. النص الفرنسي لم نطلع عليه. وأظن أن مصالي أملى على مفدي زكريا المضمون وزكريا تصرف فيه كعادته فالنداء لمصالي والأسلوب والتوسع لشاعرنا مفدي زكرياء.

نداء 12 نوفمبر 1936

من مصالي حاج إلى الأمّة الجزائرية الكريمة

أيُّهَا الشَّعْبُ الجَزَائِرِيُّ !!

سَلاَمٌ عَلَيْكَ من ابن أقْسَمَ بالله أنْ يُضَحّي في سَبِيلِ حُرِّيَّتِكَ وَسَعَادَتِكَ حَتَّى آخِرَ قَطْرَة منْ دَمِه، وآخِرَ جزْء من روحه، وآخِرَ نَفَس من رَمَق حيَاته ! ﴿وَإنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[1]

سَلاَمٌ عَلَيْكَ يَا شَعْبُ يَوْمَ وُلِدْتَ حُرّاً عَزِيزاً، وَيَوْمَ نَشَأْتَ حُرّاً شَرِيفاً، وَيَوْمَ تُصْبِحُ بِإِذْنِ اللهِ حُرّاً طَلِيقاً، تُرَفْرِفُ عَلَى هِضَابِ المَجْدِ أعْلاَمُكَ، وَتَتَنَاوَلُ نُجُومَ السَّمَاءِ أحْلاَمُكَ، وَيَنْتَصِرُ لَكَ فِي العَالَمِينَ إيمَانُكَ وَإسْلاَمُكَ

1. الواقعة [56] الآية 76

بِفَضْلِ تَضْحِيَاتِ أَبْنَائِكَ البَرَرَةِ المَفْتُولِ السَّوَاعِدِ، المُفْعَمِينَ قُوَّةً وَفُتُوَّةً وَطَنِيَّةً وَإِيمَاناً، الوَاثِقِينَ بِقَوْلِ رَبِّ العَالَمِينَ :
﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ﴾[1]

أيها الشعب الجزائري الكريم

إِنِّي أَشْكُرُ لَكَ عَظِيمَ احْتِفَائِكَ بِي، وَجَلِيلَ تَقْدِيرِكَ لِهَذَا الابْنِ الضَّعِيفِ وَالْتِفَافِكَ حَوْلَهُ، وَحُسْنَ إِقْبَالِكَ عَلَيْهِ. وَإِنَّ هَذَا الإِقْبَالَ المُدْهِشَ الذي لَقِيتَنِي به الأُمَّةُ أَنَّى حَلَلْتُ وَهَذِهِ الإِحْسَاسَاتُ الشَّرِيفَةُ الَّتِي كَانَتْ تَغْمُرُنِي أَنَّى نَزَلْتُ إِلاَّ بُرْهَاناً صَحِيحاً عَلَى أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ المُبَارَكَةَ أَدْرَكَتْ وَاجِبَهَا فِي الحَيَاةِ وَأَصْبَحَتْ تُمَيِّزُ بَيْنَ مَنْ يُرِيدُ لَهَا الخَيْرَ وَالحَيَاةَ وَبَيْنَ مَنْ يُرِيدُ لَهَا الفَنَاءَ وَالاضْمِحْلاَلَ عَلَى أَنَّ هَذَا الإِكْبَارَ وَهَذَا التَّقْدِيرَ لَيْسَ لِشَخْصِي الضَّعِيفِ الفَانِي. إِنَّمَا هُوَ لِهَذَا المَبْدَإِ السَّامِي الشَّرِيفِ، وَتِلْكَ الأَمَانَةِ الوَطَنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ الَّتِي أَخَذْنَا عَهْداً أَمَامَ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ أَنْ نَصُونَهَا مِنْ يَدِ العَابِثِينَ فِي تَحْقِيقِهَا وَلَوْ قَطَعُوا مِنَّا الوَتِينَ، وَبَلَغَتِ الرُّوحُ التَّرَاقِيَ وَانْقَطَعَ آخِرُ رَمَقٍ مِنْ حَيَاتِنَا وَالَّتِي وَهَبْنَاهَا رَاضِينَ مُطْمَئِنِّينَ حَبْساً وَوَقْفاً لِهَذَا الوَطَنِ العَزِيزِ المُفَدَّى. وَإِنَّ وَطَناً يَشْعُرُ هَذَا التَّعَلُّقَ بِالمُخْلِصِينَ مِنْ رِجَالِهِ لَهُوَ شَعْبٌ حَيٌّ يَجِبُ أَنْ يَتَبَوَّأَ مَقَامَهُ فَوْقَ الشَّمْسِ المُشْرِقَةِ رَافِعَ الرَّأْسِ، شَامِخَ الأَنْفِ، مَوْفُورَ الكَرَامَةِ. فَحَيَّاكَ اللَّهُ أَيُّهَا الشَّعْبُ وَبَيَّاكَ ! .

أَيُّهَا الشَّعْبُ الجَزَائِرِي

قَدْ تَبَيَّنَ لَكَ فِي بَحْرِ هَذِهِ الحَوَادِثِ السِّيَاسِيَّةِ الأَخِيرَةِ مَنْ هُوَ المُخْلِصُ المُجَاهِدُ وَمَنْ هُوَ المُذَبْذَبُ المُقَامِرُ، وَمَنْ هُوَ المُنَافِقُ المُتَاجِرُ. وَقَدْ رَأَيْتَ حِزْبَكَ الوَطَنِيَّ الجَزَائِرِيَّ الوَحِيدَ يَخْرُجُ مِنْ

---

1. العنكبوت [29] الآية 69

المعمعة ساطعاً كفلق الصبح صافياً كالضمير الحر. ولم يتزعزع في جهاده، ولم يتزحزح قيد شبر عن مبادئه، ولم يتسامح قط في أصغر حقوقك المقدسة. وذلك لأنه يعمل بضمير وإخلاص وثبات وثقة بالله ولأنه يدين بأن كل من تسامح في حقوق بلاده ولو مرة واحدة يعد أبد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[1] وقد برهن لك في تاريخ جهاده خمسة عشر سنة في سبيل إسعاد هذا الوطن وما لقيه من ضروب التنكيل والتعذيب والتشرد والاضطهاد في أعماق السجون وغياهب السيلونات إنه حزب يعمل لغاية شريفة ويجب أن ينالها طوعاً أو كرهاً قصر المدى أم طال. وإنه هو هو بالأمس أيام العسف والجور الفاشستي الغاشم كما هو هو اليوم في عصر الواجهة الشعبية الباسم، وإن مطالبه هي هي لم تتغير ولم تتبدل، وإن رجاله هم هم لم ينسلخوا ولم يتجنسوا ولم يندمجوا ولم يتفرقوا، وسيبقون كذلك ما دامت الأرض أرضاً والسماء سماء، وما دام الشرف يسمى شرفاً والوطنية تسمى وطنية، والآية صارخة : ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.﴾[1] ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾[2].

إن للحزب الوطني لتاريخاً ذهبياً مكتوباً بدم الشرف على دواوين البطولة، وماضياً مفعماً بجلائل الأعمال. فقد صاح صيحته في أذن

1. النحل [16] الآية 127–128
2. الحج [22] الآية 40

الاستعمار الغاشم بباريس حين سكت الناس، وأقدم حين أحجم الناس، وتشجع واستبسل حين جبن الناس وخارت قواهم وأسكتهم الخوف عن كلمة حق يصرحون بها أمام دهاقين الجور والعسف. إذ ذاك صرخ رجال الحزب الوطني وحدهم في وجه الاستعمار: إنّ الجزائر خلقت حرة سعيدة يجب أن تحي حرة سعيدة. فلاقوا من جراء ذلك ألوانا من العذاب ﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا﴾[3] وأنهم يعاهدونك أيها الشعب الكريم أنهم سيبقون على تلك المبادي لا يخافون ولا يجبنون ولا يتزحزحون مهما كلفهم ذلك من الضحايا. فلقد امتحنتهم أيها الشعب في أيام البلاء فوجدتهم صابرين، فامتحنتهم في أيام الرخاء تجد ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾[1] وليسوا كهؤلاء القنافذ الهداجين، كانوا مختبئين أيام المحنة فظهروا اليوم يساومون ثقة الشعب الغر الكريم ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾[2]

﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين.﴾[3]

أيها الشعب الجزائري

إنّ مبادئ حزبك الوطني الذي أسس على الملية من أول يوم هي السعي لتحريرك بالطرق المشروعة في دائرة إسلامك وجنسيتك الغالية المتألقة في بطون الأجيال والدفاع عن كرامتك والذود عن حماك في محيط ذاتيتك الشريفة المقدسة - تلك هي مبادئنا التي

3. آل عمران [9] الآية 146
1. المؤمنون [23] الآية 8
2. محمد [47] الآية 21
3. العنكبوت [29] الآية 1-2-3

فطرْنا عليْهَا وَنشأْنَا عليْهَا وَقدّمْنَاهَا للحُكُومَة في كُرّاسٍ يَوْمَ 23 جوان 1936 بواسطة وَفد منْ رجَالنَا. وَعليْهَا نَبْقَى، وَعليْهَا نَحيَا، وَعليْهَا نَمُوتُ - إنْ وَجبَت المَوْتُ ! نَحْنُ نُريدُ أنْ تَكُونَ لُغَتَكَ العَرَبيّةُ لُغَةً رَسْميّةً بالبلاَد، نُريدُ أنْ تكُونَ مَسَاجدُكَ وَأوْقَافكَ بيَدكَ تتَصرّفُ فيهَا بحَسَب القُرآن العَظيم. وَنَطْلُبُ لَكَ بَرلمَاناً جزَائرياً يَضْمَنُ لكَ ذَاتيّتكَ وَحُقُوقَكَ أمَامَ الأغْلَبيّة السّاحقَة منَ المُسْتَعْمرينَ. وَلاَ نُريدُ إذْلاَلَكَ عَلَى يَد أقَلّيَة ضَئيلَة في البَرْلَمَان الفرَنْسي قَدْ لاَ تَنْجُوا ضَمَائرُهُمْ منْ عَبَث العَابثينَ !... وَلاَ نَطْلُبُ إلْحَاقَكَ بفَرَنْسا لتَكُونَ فرَنْسَوياً عَزيزا كَمَا يَقُولُونَ ﴿كَبُرَتْ كَلمَةُ تَخْرُجُ منْ أفْوَاههمْ﴾[4] ﴿إنّهَا لإحْدَى الكُبَر﴾[5] يَا اللّه للْجَزَائريّينَ ! الانْدمَاج، أو الإلْحَاق، أو الارْتبَاط، أو الامْتزَاج، أو الاقْتَرَان، أو المَوْت أو الفَنَاء، أو الاضْمحْلاَل... مُتَرَادفَات مَعْنَاهَا وَاحدٌ يَلُوكُهَا قَوْمٌ وَلاَ يَفْهَمُونَ مَعْنَاهَا وَيفْتَخرُونَ بطلَبهَا في عَهْد الوَاجهَة الشّعْبيّة وَلاَ يُدْركُونَ مقْدَارَ مَا تَحْويه منَ الخزْي وَالعَار وَمنَ المُضْحكَات في آن وَاحد:

وكَمْ بالجزَائر منْ مُضْحكَاتٍ * ولَكنّهُ ضَحكٌ كَالبُكَاءِ

اليَوْمَ ضَحكَ الشّرْقُ بملء شدْقَيْه عَلَى سَخَافَتنَا وَيَسْخَرُ الغَرْبُ بملء فَكّيْه عَلَى أذْقَانَنَا. وَتَبرأ شَمَالُ إفْريقيَا منْ هَذه السّيَاسَة الّتي قَدْ لاَ يَتَشَرّفُ بانْتسَابنَا إلَيْه بهَا. أمَا آنَ لهَذَا النّوْم منْ يَقَظَة ؟ أمَا آنَ لهَذه الذّبْذَبَة منْ نهَايَة ؟ أمَا آنَ لهَذَا اللّيْل منْ آخر ؟ بَعْدَ (مائَة وَستّ وَستّينَ استعْمَاراً نَطْلُبُ الانْدمَاجَ !) يَا للْعَار وَيَا للْفَضيحَة ! الانْدمَاج. الالْتحَاق

4. الكهف [18] الآية 5
5. المدثر [74] الآية 35

- مَا أَفْظَعَهَا كَلِمَةً ﴿تَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾[1] - ﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]. إِنَّ شَعْباً يَطْلُبُ الانْدِمَاجَ فِي شَعْبٍ آخَرَ لَهُوَ شَعْبٌ قَطَعَ الصِّلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ تَارِيخِهِ وَأَجْدَادِهِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبْنَائِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَنَحْنُ الجَزَائِرِيِّينَ لَنَا تَارِيخٌ مَجِيدٌ، وَلُغَةٌ شَرِيفَةٌ، وَذَاتِيَةٌ مُقَدَّسَةٌ، وَضَمِيرٌ حُرٌّ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَأْبَى عَلَيْنَا أَنْ نَقْطَعَ الصِّلَةَ بِهَا وَنَطْلُبَ الإِلْحَاقَ. وَتُنْذِرُنَا إِنْ فَعَلْنَا - قَبْراً مَحْفُوراً، وَكَفَناً مَنْشُوراً، وَهُنَاكَ نَدْعُو ثُبُوراً، فَلاَ نَجِدُ نَصِيراً، وَلاَ نُلْفَى ظَهِيراً. وَلَئِنْ طَلَبَ السِّينِيغَال إِلْحَاقَهُمْ فَهَلْ ذَاتِيَتُنَا كَذَاتِيَتِهِمْ ؟ وَهَلْ تَارِيخُنَا كَتَارِيخِهِمْ ؟ كَلاَّ وَأَلْفُ كَلاَّ فَنَحْنُ أَشْرَافٌ مِنْ أَشْرَافٍ مِنْ أَشْرَافٍ، يَجِبُ أَنْ نَبْقَى أَشْرَافاً لأَشْرَافٍ.

وإِنَّا لَنَخْتَار أَنْ نَبْقَى مُضْطَهَدِينَ جَزَائِرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَصِيرَ أَحْرَاراً فَرَنْسِيِّينَ. تِلْكَ كَلِمَةٌ وَإِنْ أَحْرَجَتْ بَعْضَ النَّاسِ إِلاَّ أَنَّهَا كَلِمَةُ حَقٍّ نَقُولُهَا وَلاَ نُبَالِي لِيُحِقَّ الحَقُّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً.﴾[3]

عَلَى رِسْلِكُمْ يَا طُلاَّبَ الإِلْحَاق !!

وَمَهْلاً يَا خُصُومَنَا السِّيَاسِيِّينَ. لاَ تَظُنُّوا أَنَّ الأُمَّةَ مَعَكُم، فَلَسْنَا نَظُنُّ أَنَّ جَزَائِرِياً وَاحِداً يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ الإِلْحَاقَ وَيَفْهَمُ مَعْنَاهُ يَرْضَى بِذَلِكَ ! وَلَكِنَّكُمْ جَرَفْتُمْ مَعَكُمُ البُسَطَاءَ بِاسْمِ المَطَالِبِ الأُخْرَى الشَّرِيفَةِ الَّتِي طَلَبْنَاهَا وَقَلَّدْتُمُونَا فِيهَا !

وَلَوْ عَلِمُوا أَنَّ الإِلْحَاقَ (رَأْسَمَال) تِلْكَ المَطَالِبِ لَكَانَ لَهُمْ مَعَكُمْ مَوْقِفاً غَيْرَ هَذَا !

---

1. النور [24] الآية 15
2. النور [24] الآية 17
3 آل عمران [3] الآية 118

فَعَلَى رِسْلِكُمْ لاَ تَتَسَلَّلُوا لِوَاذاً مِنَ المَسْؤُولِيَّةِ النَّبِيلَةِ وَلاَ تَتَضَايَقُوا مِنْ مُفَاجَآتِ مَصَالِي وَتَعْقِيبِهِ مَعَ انْتِمَاءَاتِكُمْ. فَلِمَصَالِي الحَقُّ وَلِلأُمَّةِ جَمْعَاءَ أَنْ تُنَاقِشَكُمُ الحِسَابَ العَسِيرَ. تُحَاسِبُكُمْ عَلَى النَّقِيرِ وَالقِطْمِيرِ لأَنَّ المَوْقِفَ مَوْقِفُ حَرَجٍ وَالمَسْأَلَةُ مَسْأَلَةُ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ وَالحُكْمُ حُكْمٌ فِي مَصِيرِ أُمَّةٍ كَامِلَةٍ لاَ فِي مَصِيرِ شَرِكَةٍ تِجَارِيَةٍ وَهَذِهِ الأُمَّةُ لاَ تَرْضَى أَنْ تَرْجِعَ فَرَنْسِيَّةً أَحْبَبْتُمْ أَمْ كَرِهْتُمْ وَلاَ تَرْضَى أَنْ يُقَامِرَ أَحَدٌ بِحُقُوقِهَا عَلَى مَائِدَةٍ - الأَخْذُ بِالخَاطِرِ - أَوْ أَنْ يُمَاكِسَهَا فِي سُوقٍ - مُرَاعَاةَ الظُّرُوفِ فَلاَ مَنْزِلَةَ بَيْنَ المَنْزِلَتَيْنِ يَا قَوْمُ ! إِمَّا وَطَنِيٌّ صَمِيمٌ ! وَإِمَّا خَائِنٌ أَثِيمٌ ! وَلَنْ نَتَسَامَحَ مَعَكُمْ فِي التَّلاَعُبِ بِأَصْغَرِ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ هَذِهِ الأُمَّةِ المِسْكِينَةِ الَّتِي أَخَذْنَا عَلَى عَاتِقِنَا عَهْدَ التَّفَانِي فِي سَبِيلِهَا وَالتَّضْحِيَةِ لِتَحْرِيرِهَا.

مَا أَسْخَفَ مَنْ يَعْتَقِدُ مِنْكُمْ بِأَنَّنَا فِي دَوْرِ - التَّجْرِبَةِ - وَمَا أَخَفَّ عَقْلَهُ عَلَى حَدِّ قَوْلِ العَامَّةِ - يَتَعَلَّمُوا الحِجَامَةَ فِي رُؤُوسِ اليَتَامَى - وَهَذِهِ التَّجْرِبَةُ الَّتِي تَتَبَجَّحُونَ بِهَا بِمَثَابَةِ المُقَامَرَةِ لِتَجْرِيبِ البَخْتِ أَوْ كَمَنْ يُجَرِّبُ شُرْبَ كَأْسٍ مِنَ الخَمْرَةِ لِيَعْلَمَ هَلْ هِيَ مُسْكِرَةٌ أَمْ لاَ ؟ أَوْ كَمَنْ يُجَرِّبُ وَضْعَ السَّمَاءِ تَحْتَ الأَرْضِ وَالأَرْضِ فَوْقَ السَّمَاءِ. فَمَا أَبْرَدَ هَذِهِ السَّخَافَاتِ وَمَا أَسْمَجَهَا. فَلاَ تَجْرِبَةَ فِي البَدِيهِيَّاتِ، وَلاَ مُقَامَرَةَ بِحُقُوقِ الأُمَّةِ. وَمَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ. وَهَيْهَاتَ أَنْ تَسْتَخْرِجَ مِنَ الحَنْظَلِ عَسَلاً، وَمِنَ القَارِ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ. !

فَوَالَّذِي خَلَقَ الجَزَائِرَ وَخَلَقَنَا جَزَائِرِيِّينَ وَمَلأَ قُلُوبَنَا بِالعَقِيدَةِ الرَّاسِخَةِ وَالإِيمَانِ الصَّحِيحِ لاَ نَفْتَأُ نُقَوِّمُ اعْوِجَاجَكُمْ فِي مَسْأَلَةِ الإِلْحَاقِ وَلاَ نَنْفَكُّ نُبَاهِيكُمْ أَمَامَ مَنْ شِئْتُمْ وَإِذَا أَرَدْتُمُ الإِنْصَافَ تَعَالَوْا نَسْتَفْسِرِ العَالَمَ الشَّرْقِيَّ كُلَّهُ وَنُكَاتِبْ زُعَمَاءَ الأَقْطَارِ

الإسْلاَميَّة أجْمَعِينَ، وَلنَجْعَلِ الإنْصَافَ رَائِدَنَا وَالحَقَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ - ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾[1]!

أيُّهَا الخُصُومُ السِّيَاسِيُّون

طَالَمَا قَاوَمْتُمُونَا بِطُرُقٍ شَرِيفَةٍ وَغَيْرِ شَرِيفَةٍ، وَطَالَمَا أقَمْتُمُ الدِّعَايَاتِ ضِدَّ حِزْبِنَا الوَطَنِيِّ وَضِدَّ بَرْنَامَجِنَا المِلِّيِّ. أمَّا نَحْنُ فَلاَ نُجِيبُكُمْ بِالمِثْلِ لأنَّنَا قَوْمٌ أشْرَافٌ وَمَصْلَحَةُ الجَزَائِرِ فَوْقَ الجَمِيعِ بَلْ نَشْفَقُ لِحَالَتِكُمُ الَّتِي تَسْتَدْعِي الشَّفَقَةَ وَنُجِيبُكُمْ بِإخْلاَصِنَا وَأعْمَالِنَا وَثَبَاتِنَا. فَهَوِّلُوا أوْ عَرْقِلُوا أوْ عَوِّلُوا فَلَنْ يَزِيدَنَا ذَلِكَ إلاَّ ثَبَاتاً وَرُسُوخاً وَانْتِشَاراً لِدَعْوَتِنَا وَلَنْ يَزِيدَكُمْ ذَلِكَ إلاَّ ذَبْذَبَةً وَافْتِرَاقاً وَفَشَلاً وَهَاهِيَ الحَوَادِثُ شَاهِدَةٌ، فَأنْتُمْ لَمْ تُبَرْهِنُوا حَتَّى عَلَى قُدْرَتِكُمْ عَلَى الاحْتِفَاظِ بِوَحْدَتِكُمْ وَلَوْ شَهْراً وَاحِداً. فَكَيْفَ تَحْتَفِظُونَ بِالأمَّةِ سَنَوَاتٍ ؟ فَهَاهِيَ فُلُولُكُمْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَهَاهِيَ طَلاَئِعُكُمْ تُنْصَبُ لَكُمُ الحَبَائِلَ وَتُدَسُّ لَكُمُ الدَّسَائِسُ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ، وَهَا قَدْ أصْبَحْتُمْ مُتَنَاقِضِينَ شِيَعاً ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾[2]. أمَّا نَحْنُ فَقَدْ ثَبَتْنَا مُدَّةَ خَمْسَةَ عَشَرَ سَنَةً كَامِلَةً عَلَى بَرْنَامَجٍ وَاحِدٍ وَعَلَى سِيرَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَنْ نَتَفَرَّقَ أوْ نَتَزَحْزَحَ بِإذْنِ اللَّهِ مَا دَامَ فِينَا قَلْبٌ يَخْفِقُ وَعِرْقٌ يَنْبِضُ بِحُبِّ هَذَا الوَطَنِ العَزِيزِ المُفَدَّى وَلَمْ يَطْعَنْ أحَدٌ مِنَّا قَطُّ فِي لُغَةِ آبَاءِهِ وَتَارِيخِ أجْدَادِهِ وَلَيْسَ بَيْنَنَا مُتَجَنِّسُونَ ! أمَّا أنْتُمْ فَهَاهُوَ أحَدُ مُتَجَنِّسِيكُمْ يَخْطُبُ بِاسْمِكُمْ فِي «تِيزِي وَزُو» وَيَسُبُّ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ وَيَتَهَكَّمُ عَلَى مَنْ طَلَبَ أنْ تَكُونَ لُغَةً رَسْمِيَّةً لِلْبِلاَدِ.

---

1. آل عمران [3] الآية 82
2. العنكبوت [29] الآية 25

وهاهو بوهران يطعن التاريخ الجزائري في الصميم وأنتم ساكتون تصفقون وها نفسه عينه بعد ذلك بيومين يطعن سمعتكم وسمعة الإسلام والجزائر في أكبر هيئاتها بتناوله الخمر نهاراً جهاراً أمام نخبة الشعب في مأدبة الشعب وهاهو اليوم ينصب الحبائل للوقيعة بكم وإسقاط جامعتكم مع عدوكم اللدود الذي كان بالأمس رئيسه عليكم وكان يطعنكم سراً وعلانية وأنتم صامدون - من أعان ظالماً ابتلي به - وهاهو الآخر والآخر كل ذلك مسجل في كتاب معلوم ليوم لا ريب فيه وما دام صنائع الاستعمار يلعبون بكم فلن تأمنوا على كرامتكم وكرامة هذا الوطن المنكود.

يعتمد البعض منكم في الدعاية ضدنا أننا متطرفون متهورون نطلب الاستقلال. نعم نطلبه بكل شرف ولكن بالسعي في سبيله ولسنا نطلبه اليوم بل نقول لكم أن برنامجنا هو السعي لتحرير الجزائر بالوسائل المشروعة ولم نحدد لذلك أجلاً بل إن الخط الذي نسلكه في جهادنا هو خط التحرير وليس خط الاندماج والتجنيس وشتان بين السعي وبين التنفيذ. فالأيام وقوة الشعب وحدهما كفيلان بتحديد أجل التنفيذ والله من وراء ذلك محيط. كفاكم يا دعاة الاندماج والاضمحلال ويا أعداء الحرية والاستقلال ! ...

حسبنا أنكم مهما نشطتم في طعننا وتفننتم في الدعاية ضدنا وتغاليتم في تصويرنا للحكومة وأمعنتم في إصدار قوانين «الانديجينا الأهلية» علينا، تقوى حزبنا وانتشرت أشعة دعايتنا ودخل الناس دين الله أفواجاً ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه

وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إلاَّ نَكداً ﴾[1] اطْعَنُوا فِينَا وَقَاوِمُونَا وَارْتَكِبُوا الغَلَطَاتِ السِّيَاسِيَّةَ دَائِماً فَإِنَّنَا سَوْفَ نَبْنِي صَرْحَ دعَايَتِنَا عَلَى كَاهِلِ غَلَطَاتِكُمْ الفَادِحَةِ الَّتِي هِيَ فِي آنٍ وَاحِدٍ خِزْيٌ عَلَيْكُمْ وَخِدْمَةٌ لَنَا وَسَيَنْبَلِجُ الصبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ وَسَتَنْدَمُونَ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ النَّدَمُ ﴿يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾[1]

وَأَنْتَ **أَيُّهَا الشَّعْبُ الجَزَائِرِي الكَرِيم ؛ أَيُّهَا الشَّبَابُ الوَطَنِي المُسْلِمُ الصمِيم** اعْتَمِدْ عَلَى رَبِّكَ وَحْدَهُ. وَاتَّبِعِ الحِزْبَ الوَطَنِي وَجُنْدَهُ. وَمَحِّضْ ثِقَتَكَ وَإِخْلاَصكَ وَطَاعَتَكَ لِزُعَمَائِكَ الوَطَنِيِّينَ الصَّرِيحِينَ. وَلْيَكُنْ إِمَامَكَ القُرْآنُ. وَرَائِدَكَ الإِيمَانُ وَثِقْ بِقَوْلِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ﴾: فَسَيَأْتِي يَوْمٌ وَلَيْس بِبَعِيد تُصْبِحُ فِيهِ أَيُّهَا الشَّعْبُ الجَزَائِرِي المَاجِدُ سَابِحاً فِي سَمَاءِ الحُرِّيَّةِ حُرّاً طَلِيقاً بَاسِمَ الثَّغْرِ وَضَّاحَ الجَبِينِ! وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

من ابنك المخلص مصالي حاج

باريس يوم 12 نفامبر سنة 1936

---

1. الأعراف [7] الآية 58



من اليسار إلى اليمين : علال الفاسي، مصالي الحاج، آمين الحسيني (مفتي الديار الفلسطينية)، علي ماهر (رئيس حكومة مصر)، والجمالي (سفير العراق بمصر).
(الأرشيف الخاص لعائلة مصالي)

6

من داخل السجن

في قلعة بربروس

كان يوم 25 فبراير 1938 يوم انطلاق اعتقالات الفوج الثاني من مناضلي حزب الشعب الجزائري، وعلى الساعة العاشرة من هذا اليوم وجدنا أنفسنا نجتاز السياج الحديدي، لنضحى من سكان دار لقمان، ومن هذه النقطة الدائرية التي هي مركز الحراسة في سجن بربروس وقفنا ننتظر مصيرنا، وكان المساجين كلهم رجعوا إلى زنزاناتهم والصمت الرهيب يخيم على هذه القلعة ليزيد من هولها.

وهنا انتبهنا إلى إخواننا الذين سبقونا، قد بدأوا يطلون علينا من الطابق الثالث الذي كانوا يقيمون فيه، وعلى حين غفلة ظهر رئيس الحزب مصالي الحاج بقامته الفارعة، ولباسه الوطني، ولحيته الجديدة الذي زادته هيبة وجلالا، ونزل الطابقين - ونحن نتتبعه - في تؤدة وجلال. ووقف على يميننا على غفلة من الحراس وبلباقته المعهودة، أبلغنا التعاليم التي نسير عليها حول عملية الدخول. وقد سألنا عن سبب اعتقالنا ؟ وأين اعتقلنا ؟

وقد تعلل أمام إدارة السجن بأنه يطلب مقابلة المدير لأمور تخصه. وبعد أسبوع من هذا اليوم ألحقونا بالفوج الأول الذي مر عليه في السجن أكثر من ستة أشهر. وقد كانوا يتمتعون بالسجن

السياسي، أما نحن الأربعة، وقد بدأ عددنا يتزايد كل يوم حين وصلت جماعة قسنطينة وعنابة ثم العاصمة وبعدها تلمسان ثم فرنسا، فقد كان الحزب يبعث لنا بالأكل من الخارج قبل أن نصبح عددا وافيا.

مصالي واللغة العربية

كان حديثي الأول مع مصالي حول عدة قضايا حيث أننا لم نتقابل من آخر جويلية في السنة الماضية بمدينة وهران، وحتى هذه المقابلة لم تسمح لنا بالحديث الكافي حيث أننا التقينا مع الشيخ السعيد الزاهري ورفيقه الحاج القسنطيني، وكان الحديث يدور حول فتوى الشيخ الطيب العقبي لصالح المتجنسين التونسيين الذين رفضوا أن يدفنوا بالمقابر الإسلامية بتونس آنذاك.

لقد اشتكى لي - أثناء حديثنا - من الدروس العربية التي كان يتلقاها مع مفدي زكريا، والمبنية على القواعد النحوية، وقال لي هل هناك طريقة أخرى تساعدني بها، فرأسي عامر بالمشاكل، ولا يتحمل حفظ القواعد النحوية والصرفية، فطمأنته بأن طريقتي تعتمد على القراءة فقط. وهكذا بدأت أختار له القطع السهلة والمُشَكَّلة يقرأها عدة مرات بصوت مرتفع، ثم نحاول شرح الكلمات وبعدها شرح المعاني، ثم تقسيم النص، واعطاء عنوان لكل فكرة، وقد استساغ هذه الطريقة وأصبح يطالع وحده، وحين تطرقنا إلى كتابة تاريخ الحركة الوطنية، بادرني بقوله: «لقد طلب مني بعض الشخصيات حين كنت خارج السجن، أن أساعدهم على كتابة تاريخ الحركة. ولكن نظريتي أن التاريخ لا يكتب إلا من الداخل، ومن الذين عاشوا أحداثه عن كثب، ولهذا اخترتك لتقوم بهذه المهمة».

بدأنا فعلا في تسجيل حياة الحركة الوطنية في فرنسا، وتسجيل حياته الخاصة. وخرجت الأوراق من السجن، ولكن في تقلبات الحرب العالمية، ضاعت مني كغيرها من الوثائق والكتابات، كما ضاعت كتابات مصالي في السجن إذ جمعت وحفرها لها تحت الأرض ولكن المياه لم ترحمها، ومن الكتابات التي ضاعت رسالة طويلة تحت عنوان «نحن وجمعية العلماء» أملاها علي الأخ مصطفى بن رزوق في ثلاثة كراريس، يضم كل كراس مائة وستين صفحة، حكى فيها بكل تفصيل كيف كان يأمل أن تكون جمعية العلماء بجانب الوطنيين - أو على الأقل تبقى محايدة للمحافظة على الجمعية وتساعدها سرا، لأن غايتهما واحدة. ولكنها - للأسف - حاربت الفكرة الوطنية وأيدت الاندماج وزادت، فأرسلت الفضيل الورتلاني وجماعة معه من العلماء لمحاربة الفكرة الوطنية بفرنسا.

وقد تحالفوا مع الحزب الشيوعي الستاليني الذي كان في معركة مع الوطنيين، وهدد الورتلاني مصالي، وحاول الاعتداء عليه ولكن الطبقية - كما يقول «لاكوتير» أقوى من الإيديولوجية عند جمعية العلماء.

وفي أيامنا الأولى بجوار إخواننا الأوائل - الذين كانوا يتمتعون بالسجن السياسي - كنا نستدعي بالتناوب لمرافقتهم في الغذاء والعشاء، وكنت أنا أفضل العشاء لأن الوقت يكون أطول وهو من الرابعة إلى الثامنة، وأثناء الأكل أو بعده بقليل تبدأ الأحاديث الشيّقة والممتعة، بالتحاليل السياسية، وأخبار السجن وحراسه وممارساتهم المختلفة ثم تثنى بالذكريات والنكت وأخبار الكتب والكتاب، وتختم بالأغاني الشرقية والأندلسية والحوزية وربما ببعض الأغنيات الخفيفة الشعبية. وقد كان لمصالي الباع الطويل

في أسلوب الحديث، وسرد ذكرياته القديمة بتلمسان وتحليل ضاف للشخصيات المرموقة بأسلوب نقدي وساخر، كما كان يحدثنا عن العائلات الفرنسية التي كانت تؤويه حينما يكون متابعا من طرف الشرطة وكان يثني على هذه العائلات ويقدر لهم هذه المواقف الإنسانية. ومن هذه العائلات عائلة «لونقي»، من العائلات الباريسية الراقية أغلبهم محامون، وقد دافعوا عنه وعن الحركة.

مصالي... الإنسان والشاعر

أما عن الكتب والكتاب فكان يسرد الكتب التي طالعها وأعجب بها، فكان يتحدث عن تولستوي وموريس بوريس وهنري بوردو، كما كان كثير الإعجاب بأسلوب بالزاك القوي، وروح هيجو وسلاسة لا مارتين وميسى، وحكم فوفنا رف، ويستدل بشخصياتهم في أحاديثه ورسائله، وهكذا يمكنك أن تبقى مع مصالي الأشهر الطوال فلا تضيق بأحاديثه ولا تسأم من تتابعها، بل تتمنى أن لا ينقطع عن الحديث، ويختم أحاديثه أو نكته بضحكات قوية وعفوية تأتي من الأعماق وتعبر عن الصدق وعدم التعقيد.

وكان في آخر المطاف يستدرج الأخ بومدين معروف ليغني لنا بعض القطع الشرقية وكانت الأغنية المشهورة آنذاك : الشك يحي الغرام، ويزيد في نار ولهيب. والثانية : كم بعثنا مع النسيم سلاما، للحبيب الجميل حيث أقاما. وكان مصالي يتجاوب مع كل الأغاني بشكل مذهل وقد حكى لي الأخ معروف حادثة طريفة وكان يغني له هذه القطعة :

ضربتني بخنجر مقلتيها * تركتني مخضبا في دمائي
طرحتني على الطريق ثم قالت * من يصلي على قتيل الهوى!

اجابه مصالي في حالة غيبوبة: تصلي عليه الملائكة يا اخ بومدين.

وكان يشارك الأخ معروف في الغناء الأندلسي والحوزي والعروبي وكان يغني بعض أغاني للشاعر بن فتون، وكان يحسن الضرب على السنيترة التي تعلمها في الصغر والناي الذي كان مولعا به في صغره، وكان فنانا مولعا بالموسيقى الشرقية والأندلسية كما كان ذواقا للموسيقى الغربية سواء الكلاسيكية أو العصرية ويتحفنا في بعض المرات بأغاني مضحكة للشعب الفرنسي يتندرون بها.

أما حين يطول بنا الوقت، وتبقى الفسحة للكلام والأحاديث والذكريات فيعود بنا إلى ذكرياته المحببة في الزاوية الدرقاوية، وعن الجماعة الذين عاش معهم تلك الفترة في محبة وإخاء ومودة وفي مجادلة شيقة حول التربية الدينية وحول التضامن بين الطبقة الفقيرة وإعانة بعضهم البعض ويثني عليهم كثيرا لأنهم ربوا جيلا من المؤمنين العاملين ويشبههم بالأحزاب العمالية في جدليتهم التي لا تغلب لأنها مبنية على قواعد ومبادئ لا يحيدون عنها. ويزيد فيقول بابتسامته المعهودة : إن الزاوية كانت مرحلة بين القبلية المتأخرة وبين النظام السياسي الجديد ولا يمكن الاستغناء عنها، إن الزاوية مبنية على المحبة : محبة الله ومحبة خلقه والفناء في محبته، وهذه الخصلة التي هي المحبة هي التي تنقصنا الآن وفي الأخير يعود بنا إلى بعض القصائد التي لا زال يحفظها فنترنم بها ونساعده نحن، بومدين معروف والمتحدث، لأننا مررنا بنفس الطريقة ولا زالت أشعار الفارض وسيدي ابي مدين والشيخ بن يلس في ألسنتنا نترنم بها ونقضي بها وقتا لا بأس به.



مصالي الحاج يخطب في فوفيو
(صورة من أرشيف عائلة مصالي)

7

صاحب اللحية الطويلة

بدأت سلسلة الاعتقالات الثانية يوم 25 فبراير 1938 كما مر بنا، باعتقال الكاتب العام بالنيابة الأخ أرزقي كحال الذي خلف مصالي في العاصمة بعد اعتقاله ومعه عبد الله فيلالي ولخضر حيواني والمتحدث. وكنا نظن أن الحملة انتهت ولكنها كانت فاتحة لسلسلة جديدة. ففي أول مارس اعتقل الإخوة فيلالي علي وجلول أحمد، وبوجريدة عمار في قالمة ثم محمد بالبرهان، وبومعزة علاوة، وعبد الكريم الطاهر بقسنطينة، وبالعاصمة أحمد مزغنة ومصطفى دشوك، وعبد القادر هرقة ومحمد العساكر. وبتلمسان عبد الكريم بن عصمان، وبفرنسا موساوي رابح وعمار بن دحمان، والسي الجيلاني، وهنا بدأنا نفكر كيف نوقف هذا السيل الجارف من الاعتقالات، وكنا نعرف أن قاضي التحقيق كان متشددا مع الجماعة الأولى، وحينما استدعانا قاضي التحقيق لاستجوابنا، أفضينا له بما اتفقنا عليه، أنا والأخ كمال أرزقي، وكان هو صاحب الفكرة، وبما أن المسألة تتعلق بالكتابة فلا بأس أن نأخذ المسؤولية. وهكذا ما إن وقفنا أمام قاضي التحقيق حتى بادره سي كمال بروحه المرحة، لقد اعتقلتنا نحن فإننا مسؤولين أما هؤلاء الذين يعتقلون كل يوم فما ذنبهم ؟ فقال لنا هل أنتم مستعدون لأخذ جميع

المسؤوليات، قلنا نعم، وعلى هذا فكل ما كتب بالفرنسية لسي كمال وما كتب بالعربية لمحمد قنانش، وهنا نظر إلينا نظرة تنم عن تقدير لموقفنا وقال لنا اكتبوا لي رسالة باسمكما وسجلوا أسماء الذين ليست لهم مسؤولية، وقد كتبنا الرسالة وبعثنا بها، وبعد أسابيع خرج بعض الذين طلبنا إطلاق سراحهم، منهم مزغنة أحمد ومصطفى دشوك، وحيواني لخضر وعبد القادر هرقة، وقد استفدنا من خروج هذه الجماعة للقيام بالنظام ولإعانتنا هنا كلما دعت الحاجة، وحصلنا أيضا على ثقة قاضي التحقيق. وهكذا فقد حاولت إدارة السجن أن تقوم بمناورة لمنعنا من السجن السياسي، وادعت أننا نستفز الحراس بالأناشيد الوطنية حين خروجنا إلى الساحة، وحين وصلت المسألة إلى قاضي التحقيق استدعانا وسألنا وقد أفضينا له بالحقيقة وهي أن الحارس الذي اشتكى منا كان يستفزنا دائما وكان ينتسب إلى حزب سياسي معاد لنا.

وفي يوم 15 مارس، وصلنا نعي والد مصالي، وكانت ضربة قاسية له ولنا، وحاول مع إدارة السجن، ومع الإدارة العامة أن يسمع له بتشييع جنازة والده، لأن السجن السياسي في فرنسا يسمح فيه حتى لحضور المسرح، ولكن الجزائر ليست فرنسا. وهكذا بقي مصالي يتخبط كالأسد في قفصه، ولأول مرة أراه يبكي من أعماقه.

ومن الغد 16 وصلنا نعي والد مُفدي زكريا، والمصائب لا تأتي فرادى. فكانت هذه الأوقات من أسوأ ما قاسيناه في السجن.

وبعد أيام من هذا التاريخ فرقونا، لأنهم ضاقوا بالمعتقلين الجدد، وقد كانت هناك أزمة بين الولاية العامة وإدارة المدينة حول من الذي يدفع مصاريف السجن السياسي، بعدما اعترفت محكمة النقض والإبرام بالحق بالسجن السياسي في الجزائر للفوج الأول. هكذا أخذوا الجماعة الأولى

المحكوم عليهم، إلى سجن الحراش أعادوهم إلى النظام العمومي، وبقينا نحن وكنا جماعة لا بأس بها ببربروس، وتأزمت الحالة مع إدارة السجن لأنه لم يعترف لنا بالسجن السياسي، ولهذا قررنا بعد أيام قليلة أن نقوم بإضراب عن الطعام. وهذا هو كل سلاحنا في هذه الظروف، وبدأنا بالاحتجاجات والكتابة إلى خارج السجن وإلى الإدارة العامة، وعينا تاريخ الإضراب، وذلك بالموافقة مع رفاقنا بالحراش، بواسطة المحامين، وجاء يوم الإضراب، وبعد 24 ساعة اعترف لنا جميعا بمبدأ السجن السياسي، ولم يسبق لمبدأ السجن السياسي أن يعرف في الجزائر، ولم يكن محددا، لأن تقاليده لم تكن معروفة. ثم هو حظوة وليس قانونا، وقد قبلنا بالمبدأ، وبدأنا نوسعه كلما سمحت الفرصة.

النقد الذاتي

يبدأ بالأكل من مطعم بالمدينة نختاره نحن، ثم الصحافة والكتب، والضوء وترك الأبواب مفتوحة إلى التاسعة مساء، وحرية الزيارات. ولكن في بربروس لم نستفد من الزيارات، لأنه لا توجد محلات خاصة للزيارة، أما في الحراش فكان لهم محل إقامة خاص، وكان معدا للأوروبيين فقط. وهكذا كانوا يستقبلون جميع الزوار الذين يقدمون أسماءهم سواء من العائلة أو من غيرها.

وأثناء أحاديثي مع مصالي، رغم قصر المدة التي قضيناها معا ببربروس تطرقنا كثيرا إلى حالة الحزب وتخوف الشعب من أفكارنا ومواقفنا وقد قال لي : «يجب أن نبدأ بنقد ذاتي لسلوكاتنا تجاه الشعب الجزائري وأن نحاول تفهمه وإقناعه، ولا يمكن أن نفرض عليه إرادتنا وأسلوبنا في العمل، فالشعب الجزائري يتأثر بالأشياء الدينية ولم يستسغ بعد الفكر العمالي والكفاح اليومي، وإني بصدد التفكير في توجيه جديد ودراسة جديدة للأوضاع الداخلية والدولية

على السواء، ونحن الآن على حافة حرب عالمية جديدة تأكل الأخضر واليابس ولا مجال لنا إلا أن تكون في المستوى المطلوب، فالمخطط الجديد على وشك الانتهاء وأملنا أن نجد الرجال الأكفاء الذين يمكن أن نعتمد عليهم. فالسياسة تتطلب التجديد دائما وتتطور مع تطور الأحداث الدولية، ولا يمكن لنا أن نبقى منعزلين عما يجري في العالم». وهنا انتبهت إلى لحيته الطويلة التي زادته هيبة وسألته هل اللحية الطويلة داخلة في المخطط؟ فأجاب: «بلا شك».

وما إن أطل شهر سبتمبر من هذه السنة حتى وقعت أزمة دولية جعلت الحرب العالمية الثانية على الأبواب، وقد بدأت باحتلال ألمانيا للنمسا والتهديد لتشيكوسلوفاكيا، وكان الأسبوع الأخير من هذا الشهر ولا سيما في السجن من أخطر الأيام. ولا يمكن لك أن تتصل لا بالمحامي ولا بغيره. وقد تنفسنا الصعداء حينما سمعنا باتفاق «ميونيخ» من طرف فرنسا وانجلترا تحت تهديد هتلر.

في هذه الأيام كذلك مني الحزب - وأغلب المناضلين والقادة في السجون - بانحرافات خطيرة داخل الحزب بفرنسا كانت أهمها اتصالات جماعة باريس بالألمان ومحاولتهم المشاركة معهم، ومن لطف الله أن الإدارة الاستعمارية لم تكن على علم وإلا لكانت الكارثة. لقد كانت الحركة الوطنية الجزائرية دائما ضد الديكتاتورية وضد النازية بالخصوص وتصرفت هذه الجماعة بأسلوب لا يمت إلى الوطنية ولا إلى السياسة بصلة. وهذا ما حدا برئيس الحزب حينما اطلع على الحقيقة إلى إقصائهم خارج الحزب وإصدار جريدة البرلمان الجزائري من قاع سجن الحراش لتخلف جريدة الأمة بباريس التي أصبحت بأيدي المنحرفين.



المؤلف محمد قنانش ومحمد ديب في سان كلو - باريس - مارس 2000.

لأنه ضد الفاشية
... كان ينعت بالشيوعي

وقد خرجنا نحن من السجن بعد محاكمتنا في أواخر جانفي 1939 وقضاء سنة كاملة ببربروس وقد استفدنا منها كثيرا وكانت لنا مدرسة اختبرنا فيها أنفسنا وخرجنا منها برصيد لا بأس به لمتابعة مسيرتنا الوطنية، وقد كتبت آنذاك في مذكراتي: الوطنية كتاب مقدمته السجن. أما الجماعة الأولى التي كانت بالحراش فقد أتموا السنتين وخرجوا يوم 27 أوت 1939 والحرب العالمية الثانية تدق الطبول.

وقد اغتنم مصالي الحاج فرصة إقلاع أول قطار مدني من العاصمة يوم 16 سبتمبر ليزور مسقط رأسه، ويزور قبر والده الذي لم يحظ بتشييع جنازته. وكان ذلك هو اليوم الأول الذي يصل فيه القطار - خاصا بالمدنيين - إلى تلمسان. وكانت المحطة تعج بالمنتظرين لذويهم وأبنائهم.

وما أن وصل القطار المحطة، حتى كان حاكم المدينة آنذاك «ليستراد كاربونل» ينتظر مصالي، وقد اتخذ مكتب مدير المحطة مقرا له، وبعث بعيونه لاستدعاء مصالي والجماعة التي كانت تنتظره من عائلته ومن معارفه، وكنت من بينهم.

وما إن دخل مصالي إلى المكتب والحاكم واقفا ينتظره، حتى قال «كاربونيل» بصلفه المعهود : «أيها السيد مصالي. لقد جئتم لزيارة

عائلتكم فلا أتعرض لكم، ولكن أنبهكم أننا في حرب، والحرب تستلزم الصمت. وقد مضى وقت الكلام والمطالبة... وقبل الآن كنت أغض الطرف عما يقوم به حزبكم، ولكن الآن يجب الصمت...»، وهنا قاطعه مصالي بقوله : «ليس من عادة ممثلي الإدارة أن يتدخلوا في الشؤون التي ليست من اختصاصهم، وأننا نعرف حدودنا وواجباتنا، وقد أخذنا مسؤولياتنا، فإن كنتم تريدون إدخال الخوف إلى نفوسنا أو تهديدنا، فقد أخطأتم الطريق، فافعلوا واجبكم كما أننا نفعل واجبنا وكفى... قالها بغيظ».

وحاول «ليستراد»، أن يهدئ من روع مصالي، ولكنه خرج وخرجنا معه، ولم يلتفت إليه.

وطوال الأيام القليلة التي قضاها مصالي بتلمسان كان الحاكم «ليستراد» يأتي بنفسه إلى الساحات العامة حينما يكون مصالي يتجول مع معارفه وأصدقائه ليستمع إلى ما يقول، ولتخويف الناس ليبتعدوا عنه. وقد لفق بواسطة واحد من عيونه كلاما ملفقا حوكم عليه مصالي سنة 1941، بستة عشر شهراً سجنا مع الأشغال الشاقة.

أثناء جولاته في الساحة العمومية تقابل مرة مع المعلم بن سالم بن قلفاط وذكره بدفاعه عن عصبة الأمم في اجتماع «أحباب السلم» بتلمسان سنة 1936، وانتقاده لمصالي الذي قال أن عصبة الأمم لم تخلق للسلم، فأجابه: «كنت أومن بما قلت ولكن...»

رافقته مرة عند الحلاق بساحة المدرسة، وخرجت لأنظر إذا كان وراءنا حراس، فالتقيت بالمحامي الكبير الأستاذ بنعلي الفخار الذي كان يكتب في جريدة أخيه التي كانت تصدر بوهران وقد مثل دورا لا بأس به في نهضة الشبيبة الجزائرية، وكنت أقابله دائما وأتسلى بأحاديثه السخرية، وسألني : «ماذا تفعل في هذه السوق» ؟ فأجبته بأنني أنتظر مصالي، إنه عند الحلاق الذي أمامنا، فقال لي : «أريد أن

أراه وأحييه فهذه مدة طويلة لم نتقابل». ودخل وبأسلوبه الساخر المعروف عنه وقال له: «إنك تتزين لتصبح صغيرا وشابا، فأجابه مصالي بأن المثل يقول: «من فاتك بزين، فوتو بتحسينه»، يعني تحليقه. وتبادلا الذكريات والنكت وكان مصالي يضحك من أعماقه كعادته.

وحول تقدم الألمان في أوروبا، والوسائل التي كان يستعملها، سأل مصالي أحد المناضلين بقوله: «إن الألمان سينتصرون على الحلفاء». فأجابه بأن ألمانيا لا تربح الحرب، فليست القوة هي التي تأتي بالنصر، بل السياسة والديبلوماسية. وأنجلترا أقوى منه وأدهى، فلا تغتر بالظواهر. فالنصر للحلفاء.

وقد كانت مواقف مصالي ضد النازية والفاشية لا جدال فيها، فقد شارك في مظاهرات 12 فبراير 1934 ضد الديكتاتورية في فرنسا وشارك في تأسيس التجمع الشعبي الذي أصبح سنة 1936 الجبهة الشعبية، وكان عضوا في رئاسة لجنة «امستردام بلييل» «ضد الفاشية»، وأخذ الكلمة أمام «عصبة الأمم» بجنيف ضد السطو الإيطالي على الحبشة، وكانت مواقفه دائما ضد الديكتاتورية سواء كانت من اليمين أو حتى من اليسار، وهكذا كان ينعت بالشيوعية وبالستالينية، وكان الشيوعيين يضيقون بهذه التسمية، أما النازية فله معها معارك، فلقد وصله وهو في سجن الحراش آخر 1938 بأن جماعة من مسؤولي الحزب في باريس وفي العاصمة اتصلوا بألمانيا وحاولوا جر الحزب معهم، وبعثوا له بمن يستميله إليهم، ولكنه وقف منهم موقفا حازما. فقد طلب منهم الابتعاد عن الحزب وعن المناضلين، وأوقف المغامرة في حينها، وإلا كانت تؤدي بالحزب إلى ما لا تحمد عقباه.

بين مصالي والإبراهيمي

وبعد أسبوع من وصول مصالي إلى تلمسان، سمع بزيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى تلمسان فكلفني بالبحث عنه، ولكن وجدته قد رجع

في حينه، ثم طلب مني ان اتصل بالشيخ الإبراهيمي وأحدد له موعدا معه في سرية. وهكذا تقابلا ليلا، أين كان يقيم مصالي. وحضرت المقابلة، فبعد التحية بدأ مصالي الحديث هكذا: «أيها الشيخ إننا في حرب لا نجاة لنا فيها، وشبابنا يساق إلى الموت، ويضحي من أجل قضية لا يجني منها إلا الاستعباد وقد مضى وقت الانتظار، فما هو موقفكم الآن»؟

وهنا أخذ الشيخ الإبراهيمي الكلمة ليقول بامتعاض: «إن هذا الشعب لا يستحق الحياة، وقد حاولت إصلاحه بكل الوسائل فلم أفلح، وهذه الشبيبة الموجودة الآن خير لها أن تموت في سبيل فرنسا من أن تبقى على الحالة التي عليها الآن...» وقد باغتنا بهذه النظرة القاتمة.

ثم تطرق إلى سرد حياته في المشرق وخصوصا في القدس حين كان صديقا «لويزمان»، وكان يعيش عنده. وبعد رجوعه من المشرق تعرف على «ليستراد كاربونيل» الذي كان مستر أتور بناحية سطيف وهو الآن الحاكم الأعلى بمدينة تلمسان.

طال الحديث في الحكايات، وانفضت المقابلة في برودة، ومن غير نتيجة، وقد ظهر على مصالي القلق، وكاد أن ينفجر...

وحين صاحبت الشيخ إلى منزله، اغتاظ مني وقال لي: «حذار أن توقعني مرة أخرى في مثل هذا المأزق». ومن يومها أصبح يتحذر مني.

رجع مصالي إلى العاصمة في اليوم الأخير من شهر سبتمبر، وفي أول أكتوبر بدأ التفتيش عند المنتسبين إلى حزب الشعب، وفي 4 أكتوبر بدأت الاعتقالات، وقد ضمت عددا من المناضلين والمسؤولين في كامل أنحاء القطر الجزائر، وكان مصالي في طليعة القائمة.

مع الزعيم مصالي الحاج
من برازفيل إلى بوزريعة

في مساء يوم 21 أكتوبر 1946 تلقيت خبرا من مدينة غليزان بأن الزعيم مصالي الحاج قد نزل على حين غفلة قريبا من مدينة غليزان، وقد قضى الليل في ضيافة أحد أقربائنا وهو السيد عبد الحميد بخشي، وفي الغد انتقل إلى بوزريعة، نواحي العاصمة، أين عين موضع إقامته الإجباري، وقد منع عليه دخول المدن الكبيرة تنفيذا لمحاكمة فيشي سنة 1941.

لقد رافقه في طريقه الدكتور الأمين دباغين والأخ الحسين الأحول واستقبل أثناء مروره بحفاوة لا مثيل لها من طرف الجماهير الشعبية، ولم يصل إلى محل إقامته إلا بعد لأي وتعب.

وللتذكير، فإن مصالي الحاج قد أبعد إلى «عين صالح» ثم إلى «برازفيل» بعد مظاهرات «العشابة» بقصر الشلالة (أفريل 1945) أين كانت إقامته الإجبارية، نتيجة لحالة الحرب. وبعدما صدر قانون 10 ماي 1946 المنهي لحالة الحرب، أصبح فرض الإقامة الإجبارية على مصالي غير قانوني، ويستدعي قرارا جديدا لتغطية المخالفة، وهكذا في يوم 20 جوان 1946، بعد

مرور ثلاث سنوات من خروجه من سجن «لامبيز» تذكرت الإدارة أن مصالي قد حكم عليه بالأشغال الشاقة، ويمنعه من الدخول إلى المدن الكبيرة، وقد أعلم في «باماكو» بقرار اتخذه عامل عمالة قسنطينة يمنعه من الدخول إلى عدة مدن تحت حكمه. ثم أن حكومة «برازفيل» طلبت منه أن يختار لإقامته في فرنسا أو الجزائر، مدينة صغيرة لأن المدن الكبيرة غير مسموح له بالإقامة فيها.

وفي آخر جوان أخبر بأنه حر وبأن الحكومة قد جعلت لنقله شاحنة، وقد اختارت - إكراما له - أن تتجول به في الغابات الموحشة التي ذاق مرارتها ليحتفظ في ذاكرته بما قساه أثناء تنقلاته التعسفية، وقد دام هذا التجوال ما يقرب من شهرين قطع أثناءها 2500 كيلومتر من غير أمتعة وغير رفيق إلى أن أودع أخيرا بمدينة دكار في طائرة أقلته إلى باريس.

وبعدما قضى أياما بفرنسا عزم على الدخول إلى الجزائر عن طريق مرسيليا فاعتقل في المطار، واقتيد إلى عمالة الشرطة أين أخذ في طائرة صغيرة أنزلته بقرب مدينة غليزان، لأن المدن الكبيرة التي تنزل بها الطائرة غير مسموح بها.

وحينما نزل باريس أحتجز من طرف الجماعة القديمة للحزب بقيادة راجف بلقاسم، وحالوا بينه وبين الاتصال بالشخصيات التي كانت تود زيارته والاتصال به، ومنهم نواب حزب البيان الذين شاركوا في الجمعية التأسيسية الثانية بالمجلس الفرنسي، وكانوا يودون الاحتفال به والتحدث معه.

وكان من المأمول أن يعود مصالي إلى الجزائر كزعيم شعب لا كرئيس حزب، ولم يكن مما يخطر في البال أن يستقبله في باريس عند رجوعه من المنفى، من أقصاه هو وجماعته من الحزب لانحرافه والمخاطرة بمبادئ حزب الشعب، ولا أن يستقبله في الجزائر من تسبب في نفيه إلى «برازافيل» في أحداث 8 ماي 1945، ولكن في الجزائر يصعد صاحب الأخطاء الكثيرة لأن المحاسبة مفقودة.

وفي اليوم الثاني من وصوله، أخذت القطار الليلي، ووصلت إلى العاصمة صباحا، وفي القطار بدأت أتخيل أنواع الاحتفالات التي ستقام بهذه المناسبة الفريدة والقصائد والكلمات التي ستلقى سيما وأننا خرجنا من حرب ضروس أتت على الأخضر واليابس.

وحين حاولنا أن نعبر عن فرحتنا بنهاية الحرب، بلينا بمؤامرة استعمارية جديدة وهي أحداث 8 ماي 1945.

وفي القطار بدأت أترنم بأبيات وجدت بعضها في أوراقي التي نفضت عنها الغبار، وكانت نفحة مفدي زكريا فيها ظاهرة، فهو في هذه المناسبات لا يشق له غبار.

قُمْ فَوْقَ هَامِ السُّهَى، وَارْفَعْ بِإِجْلَالِ
تَحِيَّةً لِزَعِيمِ الْمَوْطِنِ الْغَالِي
وغنِّ للمجد ألحاناً مجددة
ملائك الخلد تتلوها لآجال

وحـي شـعـبـا أقـام للعلا صـــرحا
متينة لم تزل من عصرها الخـالي
واهـنأ بيـوم كـأن الـدهر غـرتـه
قد اكتسى حُللا من نسجها الغالي
خمسون عاما مضت في نشر ألوية
للـحق والعـدل في تحطيـم أغـلال

وكنت أنوي متابعة هذه الأبيات بعد وصولي إلى العاصمة، وتأثري بالجو الذي يمكن أن يساعدني على الإتيان بما توحيه مثل هذه المناسبات.

وما إن وصلت بعد الظهر إلى بوزريعة، وكلي نشاط وأمل حتى صدمت بما هو بعيد عما كنت أتصوره أو أحلم به. فلا حفلات تقام، ولا شخصية معروفة تستقبل الزوار، وقد أقيم حرس بشبان لا يعرفون شيئا عن قواعد الاستقبال، يسجلون اسمك كأنك داخل إلى مخفر الشرطة، والمسؤولون - أو من يعتبرون أنفسهم مسؤولين - يدخلون ويخرجون في طيش ولا مبالاة، كأنهم يفتشون عن شيء ضاع منهم، وباختصار كانت اللامبالاة والارتجال ضارية أطنابها.

ناداني مصالي، أجبت النداء

كانت المحادثات قد بدأت بين الأحزاب حول الانتخابات المقبلة وقد وصل السيد فرحات عباس رئيس حزب البيان في هذه الآونة ليتحدث مع الزعيم فأجلسوه مع المنتظرين، وقد

حييته وخرجت لأنبه الجماعة بأنه جاء لمهمة سياسية، ومن الواجب أن يدخل على الفور.

ثم وصل بعد هذا بقليل وفد المعلمين الأحرار للجزائر الكبرى وهم ينتمون إلى جمعية العلماء، وكان على رأسهم الأستاذ المرحوم فرحات الدراجي، وقد ألقى خطابا قيما - بالنيابة عن جميع المعلمين - فنوه بموقف مصالي يوم 2 أوت 1936، حين نادى باستقلال الجزائر، وقال بالخصوص: «سيبقى موقفك هذا غُرّة في تاريخ الجزائر»، وبعد ما هنأه على رجوعه إلى وطنه، تمنى له الصحة والعافية ليحقق حلم الجزائر، وأعلن بأن المدارس الحرة قررت إطلاق سراح التلاميذ في هذا اليوم احتفاء برجوعكم، وتقديرا لمواقفكم وتضحياتكم، وكان صوت الأستاذ الدراجي يسمع من بعيد، وكنت أتمنى تسجيل مثل هذه الكلمات ولكن المسجلات لم تكن معروفة آنذاك، والكتابة لم تكن على موعد معها. بعد خروجهم دخلت لزيارة الزعيم، وبعد التحية وتبادل بعض الكلمات حييت الأخ عمر خليل الذي كان عن يمينه، والأخ عبد الله فيلالي عن يساره، وتحققت من بعد بكثير. إنهم كانوا يمثلون الأمين دباغين، والذي قد كان في هذه الفترة صاحب الأمر والنهي، وعرفت أخيرا أن الأمين كان يضيق بمصالي ويعتبر أن أوانه قد فات، سيما وأنه عندما قابله عاتبه بقوله على ذكر أحداث ماي 45: «هكذا أوقعت الجزائر في كارثة بسبب تعنتك وتطرفك»، وقد أجابه بصلفه المعهود بأن هذه

هي الطريقة الوحيدة للثورة.

وقد وجدت مصالي تغير وقد ظهر عليه التعب وتحمل المشاق وبدأت السنون تؤثر فيه وتأثرت بمرآه، وأحسست بأني ودعت مصالي منذ تسع سنين حينما كان يتقد نشاطا وحماسا ويبعث القوة والطموح لكل من يقابله، وعلى كل فهذه نظرة أولى، وربما يستعيد صحته ونشاطه.

وفي آخر العشية وصل وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية، فاستقبلوا في ساحة المنزل لأنهم كانوا عددا لا بأس به. وكانت شمس الأصيل تحاول الهروب إلى مستقرها، وكان المنظر الطبيعي مؤثرا، وجنود الكشافة بلباسهم الأنيق وروحهم المتوثبة، ووقفة الزعيم في وسطهم بقامته الفارعة ولحيته الطويلة قد أضفى على هذا الحفل مشهدا رائعا غير الجو الذي كان سائدا وقد حيوا الزعيم بنشيد جديد، كان ابن المناسبة وارتفعت أصواتهم بـ :

نادانِي مصالِي، أجبت النداء
فروحي ومالِي وعرضِي الفداء

وكانت حقيقة، هنيهة تعدل سنوات العمر وتبعث على التفاؤل والطموح، وقد قدموا له هدية رمزية تحمل علما صغيرا للكشافة مطروزا بالذهب ومصحفا، كما قدم لهم من ناحيته مصحفا صغيرا كان يحتفظ به، وركز في حديثه معهم على دورهم المنوط بهم في مستقبل البلاد، كما حثهم على الاهتمام بدراسة القرآن وتفهمه والتخلق بمزاياه، وقبل توديعهم أخبرهم بأن حزب الشعب

سيشارك في الانتخابات المقبلة. وودعهم مع توديع الشمس للأفق، وقد خرجت على أثرهم، منتشيا برؤية شبابنا الطامح يتأهب لخوض غمار معركة المستقبل بإيمان وثقة. ونزلت إلى المدينة أين قضيت ليلتي مزهوا بمنظر الكشافة وطموحهم، وقد قضيت الليلة كلها وأنا أحلم وأتكهن بما يخبئه لنا مستقبل ما بعد الحرب العالمية الثانية التي ذقنا منها الأمرين.

10

الانتخابات التشريعية 1946

كانت العاصمة الجزائرية، - آنذاك - محط أنظار المناضلين الذين طال عليهم الأمد، وهم ينفذون الأوامر من غير المشاركة في الإدلاء بآرائهم فيها - لسرية الحركة، وظروف الحرب - وبالاتصال بالزعيم الذي كان أغلبهم لا يعرفه، وكان همهم الوحيد أن يروا الظروف الجديدة تتمخض عن مؤتمرات ودراسات وتقييمات عن الحرب العالمية الثانية، وما ترتب عنها من تغيير على الساحة الدولية واتجاهاتها المعلنة، وعن أحداث ماي 1945 وأسبابها وما نتج عنها، وعن تحليل جديد محدد ومفصل للمسيرة الجديدة نحو المستقبل. كما كانت العاصمة بالطبع محط أنظار السياسيين القدماء، وتجار الانتخابات، والمثقفين الجدد الذين أصبحوا يأملون أن يكون لهم دور في السياسة الجزائرية، يخولهم مكانة تليق بهم، وترفع من شأنهم. كما أن بعض الطلبة الذين رجعوا من أوروبا، وتعرفوا على تجربة الاحتلال الألماني وتوابعه، وبعضهم شارك في المقاومة الفرنسية ضد النازية، وبدأوا الاحتكاك من جديد مع الشارع الجزائري وحل بعض الألغاز التي كانوا في حاجة إلى فك رموزها.

مع محمد الشريف الساحلي

كانت المقاهي الأنيقة والمطابخ الرفيعة التي كانت بحوزة بعض المناضلين القدماء منهم مفدي زكريا والمحامي أحمد بومنجل ورشيد وعمارة ومحمد داقي وحفيز. كانت هذه المحلات مركز للمحادثات والنشاطات السياسية والفكرية.

وفي هذا الإطار تعرفت على الأستاذ محمد الشريف الساحلي، أستاذ الفلسفة بباريس واستغربت هندامه البسيط الذي كان ينم على أنه من عمال فرنسا المغتربين، وكنت أعرفه بالسماع. وقد اطلعت على مجلته إفريقيا التي أصدرها بباريس سنة 1939، ونشر منها ثلاثة أعداد، وتوجد الآن بالمكتبة الوطنية الجزائرية، وكانت متأثرة بالنزعة النازية.

والغريب أن جل الطلبة في أوروبا كانوا يعطفون على النازية، ويرون فيها حلا وطنيا. وقد شارك هو أثناء الحرب مع النازيين، وكان من مسؤولي «carna» المنظمة النازية الخاصة بالشمال الإفريقي، كما حدثنا عما قام به في صف المقاومة الفرنسية (FFI) وكان صديقا حميما «لأندري مارتي» الذي بدأ يفقد وزنه كمسؤول في الحزب الشيوعي الفرنسي.

وقد صدر لساحلي أخيرا كتاب رسالة يوغرطة* وكان موضع تعاليق مختلفة، وقد اطلعت عليه وأعجبت به، وبتركيزه على مقومات الوطنية الجزائرية، وحين سألت مسؤولي الحزب عن نظريتهم للكتاب، أجابوني بأنه يحتوي على نزعة بربرية.

---

* **ملاحظة الناشر**: لمحمد الشريف ساحلي العديد من المؤلفات أهمها ما ترجمناه نحن في دار القصبة إلى اللغة العربية: تخليص التاريخ من الاستعمار سنة 2002 والأمير عبد القادر: أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية.

وممن تعرفت عليهم في هذه الأثناء الدكتور خالدي الذي كان طالبا بمدينة «مونبيليي»، وكان ككل الطلبة الذين كانوا معه متأثرين بشخصية عربية عراقية اسمه «محي الدين» وهو عراقي وينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين. وتعرفت منهم بعده على الطلبة محمد الصغير النقاش، وعبد الكريم جباري، ومحمد الطبال، وجميل بنديمراد وغيرهم والذين لم يكونوا يفرقوا بين الوطنية كحركة سياسية تستمد جذورها من الأرض وتعتمد على النظام والتوعية، وبين حركة الإخوان التي هي نوع جديد من الطرق الدينية القديمة، لا تعتني بالسياسة التي هي لب الوطنية. وتنظر إلى إعادة الماضي من غير تحليله ولا تخطيط للمستقبل.

وفي اليوم الثالث - بعد قرار أحباب البيان والحرية للأستاذ فرحات عباس عن عدم ترشيحه - ظهرت قائمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية. وقد قدم الحزب عدة قوائم بأسماء مختلفة وعناوين متباينة، ولم تقبل إلا قائمة حركة الانتصار. هكذا أصبح هذا العنوان هو التغطية الرسمية لحزب الشعب السري - على أن مبدأ الانتخابات كان صدمة بالنسبة إلى المناضلين الذين لم يستسيغوا المشاركة في الانتخابات، ولم يرتاحوا للارتجال في اختيار المرشحين.

وظهرت التناقضات بين من رسموا أنفسهم مسؤولين، ولم يعد حزب الشعب رمز يخفي وراءه تلك القدرة التي كانت ترهب الإدارة وتخيف الخصوم.

أما بالنسبة إلى الإدارة الجزائرية فقد اتضح لديها ما كان غامضا، وارتاحت لظهور ما كان مختفيا على المسرح. وقد

التقيت في طريقي هذا المساء أحد معارفي الذين كنت أرغب دائما في الإطلاع على آرائهم وملاحظاتهم، وقد أفادني بأنه تقابل في طريقه الآن بمسؤول من الولاية العامة، وقد أخبره بأن الإدارة قد ارتاحت بعد ظهور قائمة الوطنيين، لأنها كانت بالنسبة إليهم لغز يصعب اكتشاف ما وراءه، أما الآن فاللغز أصبح واضحا، ولا يحتاج إلى كبير عناء.

وبعد أيام قلائل بدأت الحملة الانتخابية واخترت مدينة «مستغانم» لتدشين هذه الحملة. وعلى العاشرة من هذا اليوم أقيم تجمع شعبي برئاسة الدكتور بومدين بن سماعين، تكلم فيه الحسين الأحول الذي كان رئيس القائمة المرشحة ثم تلاه الزعيم مصالي الحاج - وعلى الثانية عشرة أقيم تجمع شعبي ثاني بالسانية خارج مدينة وهران - لأن مصالي الحاج ممنوع عليه دخول المدن الجزائرية الكبرى.

وقد خرجت من تلمسان لاستقبالهم بعين تموشنت صحبة جلال بوجاقجي في سيارته وذهبنا إلى «العامرية» وهناك التقينا بالفوج ورجعنا معهم في الرابعة إلى عين تموشنت وقد كان الغذاء في انتظارهم عند التاجر البشير بوعياد وانتقلوا بعدها إلى دار السيد بريكي أين أقيم المهرجان وبعدها رأسا إلى مدينة تلمسان. قبل دخول المدينة استقبل الوفد المحامي الكبير ونائب شيخ المدينة الأستاذ عمر بوقلي حسن، وكان نادي الشبيبة الجزائرية قد هيأ حفلة شاي للزعيم وجماعته ولكن الوقت لم يكن كافيا. ولهذا فقد ذهب الفوج رأسا إلى الملعب البلدي وكانت الطرق الموصلة إلى الملعب البلدي أين يقام المهرجان مكتظة بالجماهير ولم أتمكن من الدخول إلا بشق الأنفس وكان علي أن

افتتح الجلسة وأقدم الخطباء، وبعد كلمتي المختصرة تقدم المحامي عمر بوقلي حسن كممثل للمدينة وكصديق للزعيم فصال وجال وبعده قام الحسين الأحول كمرشح في الناحية. وفي الأخير قام ابن تلمسان مصالي الحاج فالقى خطابا عاطفيا حول اشتياقه إلى مدينته الخلابة وتاريخها، وذكرياته فيها، وختم بنداء إلى الالتفاف حول الحركة الوطنية. وكان مصالي وجماعته مدعوون إلى العشاء عند المحامي عمر بوقلي حسن، وفي الصباح أعلنت الجرائد بأن قائمة العمالة الوهرانية وسطيف لحركة الانتصار قد منعتا من المشاركة في الانتخابات. وكانت القائمة تضم الأحول حسين وممشاوي محمد والسويح الهواري وتعطلت السيارة ولم تصلح إلا بعد الظهر وتعطل الوصول إلى سيدي بلعباس في الصباح وسعيدة في المساء. ومرت الانتخابات في جو التعطيلات وفاز خمسة نواب من 15 مترشحا.

ثم زار مصالي تلمسان في صيف 1947 ليستريح مع عائلته، وقد ذهبنا لاستقباله في الطريق، وبقي أياما وزارته الكشافة الذين اجتمعوا في غابة تلمسان وأخذوا صورا معه، وفي هذه الأثناء زار الجزائر صحافي من السويد هو وامرأته وهي أيضا صحفية وقد تعرفوا على الأخ مصطفى فروخي وهو الذي بعثهم عندي وقد تجولت معهم وتحدثنا طويلا وزاروا مصالي وجماعة الكشافة وكان السؤال الذي يشغلهم ولم يجدوا له جوابا وقد زاروا العالم بأسره ولم يجدوا هذه الظاهرة إلا في الجزائر وهي لماذا الرجال في الجزائر يبقون قاعدين طول النهار من غير أن يتزحزحوا ولا يحركوا ساكنا وقد كانت الأجوبة مختلفة ويظهر لي أنها لم تقنعهم.

ورجع مصالي مع عائلته مرة أخرى في صيف 1948 وحضر اجتماع الطلبة في منزلي بحضور الصحفية الانجليزية آن، وكان رئيس الجلسة الدكتور شوقي مصطفاوي وقد أجاب جميع الطلبة الذين قدموا أسئلة، وتكلم بإسهاب عن الموقف الوطني. وفي الأخير تكلم مصالي كعادته وصال وجال وكانت أمسية ممتعة مع الطلبة رجال الغد.

آخر زيارة لي لمصالي

انتقلت إلى العاصمة في صيف 1950، وذهبت رأسا إلى بوزريعة لأزور الزعيم مصالي الحاج. وأستطلع أخباره، وقد هالني أن أجد الدار فارغة إلا منه، ومن أحد المعارف الذي جاء ليأخذه معه إلى البحر لأنه كان بحاجة إلى الراحة والاستجمام.

وما إن سلمت عليه حتى طلب مني أن أرافقه إلى البحر، وكانت بالنسبة إلى فرصة لا تعوض في حرارة الصيف. ووصلنا إلى شاطئ «جميلة» وذهبنا بعيدا عن الناس، ونزلنا على الشاطئ وكان الجو منعشا، ودخل هو الأول وبدأ يسبح بشوق لا مثيل له، وتمتع بروائع البحر، وكان يحسن السباحة من صغره، وقد رأيته قبل هذا في تلمسان بـ «الوريط». وقد ذكرني بقفزته من أعلى الجبل على المسبح حتى أن حراسه الذين كانوا لا يفارقونه ارتاعوا لقفزته، وقد كانت بصحبتنا آنذاك صحفية انجليزية راعها ما رأته منه، وقبل أن أنزل إلى الماء وقفت أتمتع برؤيته وهو يسبح بذوق ولحيته الطويلة تزيده جلالا وهيبة. وما أن اقتربت منه حتى بادرني بقوله : يظهر أنك بعيد عن النظام ؟ فأجبته كعادتي معه بكل بساطة، ذلك أنني لست من أحباب

الجمهورية Les amis de la république. فقال لي ماذا تعني هذه الكلمة، فقلت له لست من جماعة الدوزيام ؟ هذه المافيا التي استحوذت على الحزب وجعلت منه آلة لصالحها. ولا عجب فالقصبة أو «الدوزيام» كما تدعي الآن ما زالت تضم مجموعات من الإرهابيين لا تسمح بالنقد أو المعارضة. وهنا طلب مني أن أبقى معه هذا المساء لنتحدث معا. وحين رجعنا إلى المنزل أخذ يفتش عن أشياء يمكن أن نتقوت بها فلم يجد إلاّ حبتين من الخردل هياهما كسلاطة تعشينا بها.

مصالي : من زعيم حزب إلى زعيم أمة ؟

لقد وجدته متذمرا من إدارة الحزب، وحكى لي أن أصحاب الإدارة حين يأتون للاجتماع يصحبون معهم مسدساتهم ويجعلونها فوق الطاولة أمامي وأنا الوحيد الذي لا أملك مسدسا، وهذا تهديدا سافر ضدي وقد فرقوا بيني وبين عائلتي فأبنائي وزوجتي بعيدين عني وقد هددوهم ولذا فقد رجعوا إلى بيتنا القديم في القصبة وابعدوا عني كل أحبابي وبقيت وحيدا لا أجد ما أقتات به. فقلت له بأنك مسؤول عن هذه الحالة، لقد تركتهم يعبثون. فقال لي هذا الذي يقولونه لي كل الذين يزورونني. وهنا بادرته بقولي: «لا أخفي عليك. لقد كنت أتمنى حين رجعت من برازافيل أن تأخذ قسطا من الراحة - بعيدا عن المسؤولية وعن الحزب - حتع تطلع على ما مر في غيابك من أخطاء ومن خروج عن الجادة، سيما وقد أصبحت زعيم أمة لا زعيم حزب. وتسمع إلى المناضلين القدماء الذين أصبحوا على الهامش وإلى الشعب الذي كان ينتظرك بفارغ الصبر. ثم تدرس السياسة الدولية وما تتطلبه من تغيير ومن تفهم للمعارك

الآتية، وهناك تبني معركتك الجديدة على أسس متينة، وعلى الكفاءة لا على حركية وارتجال لا يمت إلى السياسة بصلة. وحينما زرت تلمسان للمرة الأولى سنة 1946 وطلبت من الناس أن ينتخبوا على قائمة الحزب، سألت بعض الأصدقاء الذين كنت أثق بهم ما رأيهم ؟ فقال لي أحدهم، لقد كنا ننتظر مصالي أن يأتي إلينا ويحكي لنا أحواله وأحلامه ويستمع إلينا وإلى هذا الشعب، الذي هو في حاجة إلى من يستمع إليه ولكنه للأسف - جاءنا كالآخرين ليقول لنا انتخبوا على قائمتي. حقيقة لقد أحسست بإحباط لا مثيل له».

وهنا ظهر عليه التأثر والانقباض وقال لي: «حين وصلت في جولتي الأولى إلى مدينة في الشرق الجزائري طلب الكلمة شيخ من القاعدة وقال: «يا سيدي الحاج لقد كنا ننتظر زيارتك بفارغ صبر وكنا نتمنى أن تحدثنا على حالتك وعن آلامك وآمالك وتستمع إلينا وتطلع على حالتنا ولكن للأسف جئتنا لتقول لنا انتخبوا على قائمتي، وهذه الكلمة أثرت في تأثيرا شديدا ورجعت من هناك متأسفا وبقيت أنفذ مقترحات الآخرين، لأنني رجعت مشتاقا للحركة والعمل، وكنت أظن أن الحركة سارية كما كانت من قبل». وقد عقبت عليه بما يلي: «الحقيقة المرة التي نتجرع مرارتها هي أنه نتج عن تزييف انتخابات المجلس الجزائري بواسطة «نايجلين» تغيير جذري وتزييف في اتجاه حركة الانتصار. وقد تغير الرمز الأساسي وأصبحت الستالينية تتحكم في الحزب بواسطة النظام المركزي الذي كان مؤامرة ضد الديمقراطية داخل الحزب وأصبح المناضل لا حق له في إبداء رأيه. بل يفرض عليه ما تريده الطغمة الحاكمة وقد بدأ النظام الجديد بإقصاء الامين دباغين وجماعته، وخلق أزمة بربرية مفتعلة يغذيها الحزب الشيوعي، وإقصاء المناضلين القدماء بدوافع

مختلفة وتفجير المنظمة السرية بواسطة سلوكات إرهابية وصبيانية».

من دباغين إلى الأزمة البربرية

وعلى ذكر إقصاء الدكتور الأمين الدباغين، قلت له : «إن الأسباب التي قدمها الحزب لإقصائه غير كافية ولا مقنعة...» وقد أجابني: «حقيقة، ولكن هناك أشياء أخرى لم تذكر لأسباب خاصة - الأولى عدم انظباطه مع الحزب، فإنه يسافر إلى الخارج من غير علم الإدارة، وحين يرجع لا يقدم تقريرا لا كتابيا ولا شفهيا، وكانت تصرفاته مع المناضلين ومع الخصوم أو مع المحبين تتسم بالبعد عن اللياقة السياسية. وكان معقدا حينما يرى من هم أقل منه منزلة يتحدثون بطلاقة وباتزان فكان لا يملك نفسه حينما يعجز عن شرح ما يختلج في صدره، وأشياء أخرى ثم هو الوحيد الذي لا يدفع ما يتقاضاه من المجلس الفرنسي للحزب كغيره من النواب.

وأخيرا ما هذه الزوبعة حول البربرية في هذه الظروف الحرجة، ونحن في حاجة إلى لم الشمل، وقد أصبح يغذيها الحزب الشيوعي الجزائري، والشباب المناضل يذهب ضحيتها. ثم ما معنى أن يكلفوك أن تذهب إلى الشرق - في وقت الجزائر في حاجة إليك - مع الشرط أن تبقى هناك ولا ترجع، هناك أشياء وأشياء تتطلب الجواب وقد ضاعت الثقة بين المناضلين والإدارة وأصبح الارتجال والتلاعب بالقيم حديث الخاص والعام».

وفي الأخير وقبل أن يذهب ليستريح لأن الحديث طال وتشعب قال لي : «لقد سئمت العمل في هذا الجو الخانق وأنا في حاجة إلى تبديل الجو وقد أصبحت لا أثق في هؤلاء الوحوش الذين لا يحسنون إلا التحطيم وقطع الطريق عن الأعمال الجادة وأطلب من الله أن يلهمنا جادة الصواب وقد تعبت الآن وأنا في حاجة إلى الراحة». وهنا ودعته وكانت هذه آخر مقابلة لي معه.

الــمــلاحــق

[illegible] il a fait l'exposé détaillé de l'Algérie, [illegible]
[illegible] c'est un homme fin, habile [illegible]
Il m'a [illegible] que j'ai lu que Peyrouton est de retour en France et qu'il a fait admettre au Conseil national de Vichy des musulmans algériens. Il m'a dit aussi [illegible]
[illegible]
le gouvernement voudrait quelques assurances, et je vous prie de me faire une déclaration où vous reconnaissez à l'État [illegible]
jamais je ne renoncerai, et je ne ferai pas de déclaration [illegible] porte-parole [illegible] que jamais on ne demanderait de déclaration. Ici je lui ai fait l'historique des négociations. Puis à mon tour j'ai pris la parole pendant 1 heure, ma bouche était devenue amère, [illegible]

هذه رسالة بعثها من قاع سجن الحراش إلى رفقائه في السجن يخبرهم عما دار بينه وبين الكولونيل «شين» وجوابه إليه أيام الحرب العالمية الثانية قبل محاكمته.

[illegible] chers amis. Mardi le [illegible] est venu et j'ai eu un
[illegible] entretien qui a duré 1h½ à [illegible] duquel, il m'a fait l'historique
de ses fonctions, de certaines tentatives déjà accomplies, [illegible]
[illegible]. Il m'a mis au courant des bonnes intentions du gouvernement
quant aux problèmes algériens [illegible] m'a parlé longuement
[illegible] de l'administration algérienne et m'a déclaré
« s'il y a quelque chose de changé en France soyez en certains et
l'Algérie ne manquera à son tour d'en profiter. » Enfin il
m'a fait l'exposé détaillé de l'Algérie, et cela montre qu'il est
au courant de tout. C'est un homme fin, habile et très diplomate.
Il m'a montré le journal où j'ai lu que [illegible] est de retour
en France et qu'il a fait admettre au Conseil national de Vichy
des musulmans algériens. Il m'a dit aussi qu'il a été dans
le [illegible] et qu'il a vu nos amis bien portants. En fin de conversation
il a résumé [illegible] ce qui est au P.P.A. « et vous, vous voulez
vous rapprocher de nous, vous devez faire un geste. Vous
[illegible]
le gouvernement voudrait quelques assurances, et pour cela
je vous prie de me faire une déclaration où vous renoncerez à
l'idée — — — — au passé — — — — »
Jamais je ne renoncerai, et je ne ferai pas de déclaration.
Un certain porte-parole de [illegible] a bien précisé que jamais
on ne demanderait de déclaration. Ici je lui ai fait
l'historique des négociations. Puis à mon tour j'ai pris
la parole pendant 1 heure, ma bouche était devenue amère.
Je lui ai sorti mon cœur qui a débordé. J'ai tout repassé
[illegible] problèmes algériens, séjour à Paris, Genève,
Chakib Arslan, [illegible] mécontentement arabe [illegible]

هذه رسالة بعثها من قاع سجن الحراش إلى رفقائه في السجن يخبرهم عما دار بينه وبين الكولونيل «شين» وجوابه إليه أيام الحرب العالمية الثانية قبل محاكمته.

REPUBLIQUE ALGÉRIENNE DÉMOCRATIQUE ET POPULAIRE

ACTE DE NAISSANCE

Copie intégrale

Le (1) dix sept mai mil huit cent quatre vingt dix huit à Tlemcen
(2) Messali Hadj
du sexe masculin né de Tlemcen
et de Fatima ... son épouse
domicilié Tlemcen

Dressé le (1) ... heure ... sur la déclaration

faite (2)

Suivent les signatures :

Pour copie conforme :

Tlemcen le 24-05-94

Cachet de la Commune

ÉTAT CIVIL

N° 383

Marié le ... à Tlemcen

شهادة ميلاد مصالي الحاج طلبها المؤلف من بلدية تلمسان.

ACTE DE NAISSANCE

Copie intégrale

Le (1) dix sept mai mil huit cent quatre vingt treize heure du soir, est né à Tlemcen [illegible]

(1) Messali [illegible]

du nom Messali [illegible] de [illegible]

et de [illegible] Fatima son épouse [illegible] Tlemcen

domiciliés

Dressé le (1)

heure sur la déclaration

faite (1)

Suivent les signatures :

Pour copie conforme :

Tlemcen le 24-05-94

ETAT CIVIL

N° 383

شهادة ميلاد مصالي الحاج طلبها المؤلف من بلدية تلمسان.

RÉPUBLIQUE ALGÉRIENNE
DÉMOCRATIQUE ET POPULAIRE

WILAYA

d [illegible]

DAIRA

d [illegible]

COMMUNE

d [illegible]

ETAT CIVIL

n° 383

(1) En toutes lettres.
(2) Nom et prénoms de l'enfant.
(3) [illegible]

Marié le [illegible]
avec [illegible]
Fait le [illegible]

ACTE DE NAISSANCE

Copie intégrale

Le (1) dix sept mai mil huit cent quatre vingt [illegible] à [illegible] heure du soir, est né à Tlemcen

(2) [illegible]

du sieur [illegible] fils de [illegible]

et de [illegible] son épouse

domiciliés Tlemcen

Dressé le (1) ....

heure .... sur la déclaration

faite (3) ....

Suivent les signatures :

Pour copie conforme :

Tlemcen le 24-05-94

Cachet de la Commune



P/ le Président
P/ Délégation
[illegible]

Validité [illegible] pour l'étranger

[illegible]

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

ولاية

دائرة

بلدية

رقم 7910

نسخة من الدفتر الأصلي

المتعلق بعرش

فرقة

الإسم العائلي: مصالي

الإسم (اللقب القديم) أو أسماء الأسلاف أو الكنية إذا كانت

الرقم 7910 من الدفتر الأصلي

المهنة

العمر في سنة 1889 = عمره 50 سنة

ملاحظات:

نسخة مطابقة للأصل

في

ضابط الحالة المدنية



Messali Ahmed

شهادة ميلاد مصالي الحاج وكان عمره يوم تسجيله في سجل الحالة المدنية سنة 1889 50 سنة.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

ولاية ....

دائرة تلمسان

بلدية

رقم 7910

نسخة من الدفتر الأصلي

المتعلق بعرش ....

فرقة ....

الإسم العائلي: مصالي

الإسم (اللقب القديم) أو اسم الأسلاف أو الكنية إذا كانت

احمد بن الحاج بن بيوض ...

...

الرقم 7910 من الدفتر الأصلي

المهنة: ...

العمر في سنة 1889 = عمره 50 سنة

ملاحظات: ....

نسخة مطابقة للأصل

تلمسان في 21/01/29

نائب الحالة المدنية



Messali Ahmed

شهادة ميلاد مصالي الحاج وكان عمره يوم تسجيله في سجلّ الحالة المدنية سنة 1889 50 سنة.

الكتاب الثاني

مفدي زكريا
عبد الحميد بن باديس
الأمير خالد
محمد العيد آل خليفة
أحمد توفيق المدني
أكلي بانون
جمال الدين سفينجة

المناضل الوطني اكلي بانون

هذه شهادة مناضل مجهول عاش ما يقرب من نصف قرن في المهجر، فرنسا، وساير الحركات العمالية الدولية عن كثب، وساهم مساهمة فعالة في الحركة الوطنية الجزائرية، وكان أحد روادها الأوائل الذين عاشوا احداثها وسجنوا في سبيلها.

وكان سكناه - 19 نهج داقير- مركزا للحركة الوطنية عدة سنوات، ومن غريب الصدف أنه كان يسكن في الشقة التي كان يقيم فيها «لينين حينما كان في باريس، وقد كان الملاذ الوحيد للحزب حينما يقدم جريدة الأمة للطبع ولا يجد المال الكافي.

وقد شارك في المؤتمر الإسلامي الأوروبي بجنيف عام 1935 بجانب الأمير شكيب ارسلان، ودخل السجن عدة مرات. وقد توفي في الثمانينيات عن عمر يناهز التسعينات ودفن في عين البنيان. تغمده الله برحمته.

أكلي بانون يتحدث

ولدت بقرية «جبلة» دوار مزالة ولاية سطيف يوم 27 جوان 1889، لم أدخل الكتاب ولا المدرسة. بدأت راعيا ثم فلاحا شأن أبي وأجدادي. لم تكن عائلتي فقيرة بل كانت متوسطة، لها أرض ولها ما

يكفيها في معاشها طول السنة ولكن شظف العيش كان من نصيب الفلاحين كلهم. ولما بلغت الخامسة عشرة من عمري قبض علي من طرف حاكم الناحية واودعني السجن، ولم أنج إلا برشوة الحارس الذي ساعدني على الفرار.

وبقيت في قريتي تحت وطأة الحاكم وأعوانه ووطأة التقاليد القبلية والعائلية التي أصبحت تخلق جوا خانقا للشباب يدفعهم إلى الهجرة من الوطن أو إلى مخاطرة لا تحمد عقباها.

وهكذا ذهبت الى سيدي عيش بعد مشادة مع أحد أعمامي وتعاقدت مع الجيش للعمل في فرنسا في معامل السلاح (كونفويور) كما كانوا يقولون، ثم اشتغلت في معمل السكر ثم معمل رونو، وانتقلت من مرسيليا الى بروطان. وأخيرا استقر رحلي في باريس وقد اشتغلت فيها كخضار متجول بعد سنة 1927.

وفي سنة 1926 كان لي جار في السكن يدعى عمر جاوي من تمازير، يعمل في النقابة. استدعاني الى الاجتماع الذي وقع بنهج بروطان رقم 49 وذلك في 16 ماي. وفي هذا الاجتماع تأسس «نجم شمال إفريقيا» واختير له هذا الإسم. ولم أكن أعرف من الحضور الا السيد الجيلاني الذي رأيته مرة يخطب في اجتماع نقابي.

وفي 12 جوان عقد أول اجتماع عمومي في 163 نهج المستشفى، أعلن فيه عن إنشاء الحركة وعن اسمها.

وفي 2 جويلية عقد اجتماع عام للأعضاء بقاعة نهج قرانج أوبيل، وفيه تأسست اللجنة المركزية التي كانت تضم 30 عضوا أذكر منها هذه الأسماء:

يكفيها في معاشها طول السنة ولكن شظف العيش كان من نصيب الفلاحين كلهم. ولما بلغت الخامسة عشرة من عمري قبض علي من طرف حاكم الناحية واودعني السجن، ولم أنج إلا برشوة الحارس الذي ساعدني على الفرار.

وبقيت في قريتي تحت وطأة الحاكم وأعوانه ووطأة التقاليد القبلية والعائلية التي أصبحت تخلق جوا خانقا للشباب يدفعهم إلى الهجرة من الوطن أو إلى مخاطرة لا تحمد عقباها.

وهكذا ذهبت الى سيدي عيش بعد مشادة مع أحد أعمامي وتعاقدت مع الجيش للعمل في فرنسا في معامل السلاح (كونفويور) كما كانوا يقولون، ثم اشتغلت في معمل السكر ثم معمل رونو. وانتقلت من مرسيليا الى بروطان. وأخيرا استقر رحلي في باريس وقد اشتغلت فيها كخضار متجول بعد سنة 1927.

وفي سنة 1926 كان لي جار في السكن يدعى عمر جاوي من تمازير، يعمل في النقابة. استدعاني الى الاجتماع الذي وقع بنهج بروطان رقم 49 وذلك في 16 ماي. وفي هذا الاجتماع تأسس «نجم شمال إفريقيا» واختير له هذا الإسم. ولم أكن أعرف من الحضور الا السيد الجيلاني الذي رأيته مرة يخطب في اجتماع نقابي.

وفي 12 جوان عقد أول اجتماع عمومي في 163 نهج المستشفى، أعلن فيه عن إنشاء الحركة وعن اسمها.

وفي 2 جويلية عقد اجتماع عام للأعضاء بقاعة نهج قرانج أوبيل، وفيه تأسست اللجنة المركزية التي كانت تضم 30 عضوا أذكر منها هذه الأسماء:

الإسم	المهنة	المدينة	الانتساب
الرئيس : الحاج علي عبد القادر	تاجر	غليزان	شيوعي
الكاتب العام : مصالي الحاج	بائع متجول	تلمسان	
امين المال : شايلة الجيلاني	إصلاح المعارج	البليدة	شيوعي
سي الجيلاني محمد السعيد	عامل	الأربعاء نايت ايراثن	
اكلي بانون	عامل وخضار	سيدي عيش	
معروف محمد	مسؤول نقابي	الاصنام	نقابي
قدور فار	معطوب حرب	الاغواط	
سعدون	عامل	بني عباس	شيوعي
مقروش	عامل	بني عباس	
عبد الرحمن السبتي	طالب كتاب	العلمة او الخروب	
ايت طودرت	معطوب حرب	عين الحمام	
ايفور محمد	معطوب عمل	الاربعاء نايت ايراثن	
قاندي صالح	عامل	بوسعادة	
رزقي	عامل	خنشلة	
بوطويل	مصنع المترو	جيجل	

وكان مركز الحزب 3 نهج مارشي ذي بطرياك، وبدأت الدعاية في أوساط العمال في نواحي باريس للتعريف بالحركة، وكانت الاحياء الاولى التي تركز فيها الحزب هي ناحية الثالثة عشرة، سان دونيس، كليشي، وجنقلي. وبعدها تركز النشاط حول الناحية الثامنة عشرة، والتاسعة عشرة، والعشرين.

الإسم	المهنة	المدينة	الانتساب
الرئيس : الحاج علي عبد القادر	تاجر	غليزان	شيوعي
الكاتب العام : مصالي الحاج	بائع متجول	تلمسان	
أمين المال : شابيلة الجيلاني	إصلاح المعارج	البليدة	شيوعي
سي الجيلاني محمد السعيد	عامل	الأربعاتايت ايراثن	
أكلي بانون	عامل وخضار	سيدي عيش	
معروف محمد	مسؤول نقابي	الاصنام	نقابي
قدور فار	معطوب حرب	الاغواط	
سعدون	عامل	بني عباس	شيوعي
مقروش	عامل	بني عباس	
عبد الرحمن السبتي	طالب كتاب	العلمة أو الخروب	
ايت طودرت	معطوب حرب	عين الحمام	
ايفور محمد	معطوب عمل	الاربعانايت ايراثن	
قاندي صالح	عامل	بوسعادة	
رزقي	عامل	خنشلة	
بوطويل	مصنع المترو	جيجل	

في 26 ديسمبر من نفس السنة وقع اجتماع بقاعة المهندسين المدنيين تحت رئاسة حاج علي عبد القادر وتكلم فيه المحامي بيرطون وكانت أول جريدة أسسها الحزب هي جريدة الإقدام وقد عطلتها الحكومة في عددها الثالث أو الرابع لوجود صفحة بالعربية، وبعدها تأسست جريدة الإقدام الباريسي ولكنها لم تعش طويلا أيضا.

وفي شهر فبراير سنة 1927 انعقد مؤتمر بروكسل ضد الاستعمار ما بين 10 و15 منه وقد حضره ممثلان عن نجم الشمال الافريقي وهما مصالي الحاج والشاذلي خير الله. ومن الشخصيات التي تعرفا عليها في المؤتمر : نهرو وهوشيمينه وسوكارنو...

وفي آخر فبراير رجعت الى مسقط رأسي وقضيت ثلاثة أشهر بين سيدي عيش وبين عين البنيان الذي كان لي فيها بعض الاقارب. وفي مقهى هذه المدينة بدأت أتحدث عن الحركة ومهمتها واريتهم ورقة اشتراكي التي كانت تحمل صورة الامير خالد، وطلبها مني عامل المقهى وعلقها امام الزبائن.

وفي شهر نوفمبر سنة 1927 وقع اجتماع عام للحزب بنهج «قراسيوز» بباريس، وأثناء الجدال تحددت الفكرة الوطنية وقدمت لائحة تطالب باستقلال الجزائر وصودق عليها بأغلبية ساحقة، وهنا اسقط في آيدي الشيوعيين الذين كانوا يريدون أن يجعلوا من الحزب مادة استغلالية لفائدة الحزب الشيوعي الفرنسي وقد احتجوا وخرجوا من الاجتماع وخرج معهم بعض الفرنسيين الذين كانوا يعطفون على الحركة، وقد انقطع أغلب الشيوعيين عن الحركة ومنهم حاج علي عبد القادر. ثم اعلن

بواسطة منشورات عن اجتماع كبير يتكلم فيه الأمير خالد وتحت رئاسته الشرفية ولكنه رفض الحضور واجاب شابيله بهذه الكلمة «حينما كنت اشتغل بالسياسة كنتم انتم لا تزالون رعاة» ووقع الاجتماع بغير حضوره.

وفي سنة 1929 بدأت حكومة طارديو تضغط على المناضلين، وقررت في نوفمبر حل الحزب واستدعي قاضي التحقيق المسؤولين ليبلغهم قرار الحل، ولكن محامي الحزب بيرطون نصح القادة بان لا يستجيبوا للدعوة وهكذا اصبح هذا القرار عديم المفعول لانه لم يطبق في الوقت القانوني.

وفي سنة 1930 وقع الاحتفال باحتلال الجزائر وقام المستعمرون بالتطبيل والتزمير لهذا الاحتفال، وكانت الحركة في آخر 1929 قد هيأت منشورا عن الحالة في الجزائر بهذه المناسبة واعطته لمحمد معروف الذي كان مسؤولا عن مطابع النقابة، وبدأ يسوفنا ويختلق كل مرة عذرا، والحقيقة أن الشيوعيين قد بدأوا في محاربتنا من طرف خفي ويعطلون اعمالنا سيما بعد حل الحركة من طرف الحكومة، وبالرغم من هذا فقد بعث مصالي الحاج مذكرة الى عصبة الامم يحتج فيها على الحالة في الجزائر وعلى احتلالها من مدة قرن.

وفي آخر هذه السنة أسست جريدة الأمة وعين صاحب امتيازها السي الجيلاني محمد السعيد، ومصالي الحاج محررها. وكان الوحيد الذي يحسن الكتابة. فالاعداد الأولى من الجريدة كانت من تحريره من أولها إلى آخرها. وفي سنة 1931 و1932 تعززت الحركة بدخول فوج جديد من العمال منهم : عيماش عمار، راجف بلقاسم، كحال ارزقي، موساوي رابح،

بورنان محمد، عاشور، محمد ريوح، معاوية عبد الكريم، صبار احسن والطيب بوساك وغيرهم...

وفي سنة 1932 اقيمت حفلة موسيقية بقاعة «لوبوتي جرنال» لجمع المال للجريدة، وبهذه المناسبة بعث قدور بن غبريط الذي كان محافظا لمسجد باريس وممثلا لملك المغرب شيكا بمبلغ 50 فرنكا اعانة للجريدة فأعيد اليه الشيك مع رسالة نشرت بجريدة الأمة تذكره بان المناضلين لا يقبلون مال العملاء.

وفي السنة نفسها كتب المحامي كيراط الذي كان يصدر جريدة عين الصفراء بمدينة مستغانم في مقال له.

«لا يوجد اي وطني في بلدته (يعني مستغانم) وإذا وجد حقا اتمنى أن أراه... انني جزائر ي في وطني، لقد ولدت هنا وابي كذلك وكان جدي ضابطا للاحتلال»، ثم نبه علي الحركة الوطنية وقال ان جريدته والحكومة والشرطة تعمل كل ما في وسعها للقضاء على المشوشين وقد اجابته جريدة الأمة : «ايها السيد كيراط انك لست بجزائري لانك حفيد المحتلين».

وقد نشرت في السنة نفسها أيضا الجريدة الفرنسية لاديبيش كولونيال بمناسبة الحج ان الحكومة الفرنسية بعثت لجنة رسمية على رأسها العميل جلول بن لخضر وتكرمت عليه بلقب «خليفة» لترفع من قيمته. وقد قابل الخليفة الملك ابن سعود ومدح امامه الأعمال التي تقوم بها الحكومة الفرنسية فيما يخص المسلمين. وقد اجابه العاهل السعودي باني لا اشك في كلامك اني على علم بما تقوم به فرنسا تجاه المسلمين.

وقد اجابته جريدة الأمة بان جلول بن لخضر خليفة من ؟ وما ؟ الرمل ام الجراد ؟ وقد كان السيد قدور فار بالأغواط حينما

صدر المقال عن خليفة بن لخضر وبهذه المناسبة فتح اكتتابا لجريدة الأمة جمع فيها 265 فرنك وكان لها قيمة في ذلك الوقت.

وقد بقي الحزب من انشائه الى شهر ماي سنة 1933 من غير برنامج مسطر وقوانين داخلية محددة. ولهذا فقد عينت اللجنة المركزية يوم 28 ماي سنة 1933 وكانت تتألف من ثلاثين عضوا أهمهم : مصالي الحاج، عيماش عمار، راجف بلقاسم، سي جيلاني محمد السعيد، موساوي رابح، كحال ارزقي، بانون اكلي، معاوية عبد الكريم، صبار احسن، وربوح محمد، وعينت كذلك اللجنة التنفيذية، وكانت كالاتي:

مصالي الحاج : رئيس الحزب ومدير جريدة الأمة

عيماش عمار : كاتب الحزب ورئيس تحرير الجريدة.

راجف بلقاسم : امين المال.

وفي هذا الاجتماع تحدد البرنامج السياسي والقوانين الداخلية. ومن هذه القوانين قانون منع جميع اعضاء الحزب من ان ينتموا الى حركة أخرى او حزب الا بإذن من الإدارة. ومن هذا اليوم خرج كل الذين دخلوا الحزب لاجل استعماله والخروج به عن دائرة اهتمامه.

وبمناسبة صدور قانون شوطان الذي خول لرئيس قسم البوليس ان يحضر يوم الجمعة في المسجد ليستمع الى ما يقوله الخطيب، عقد الحزب اجتماعا في قاعة «لاسوسيطي ساقانط» يوم 15 ماي سنة 1934 للاحتجاج ضد هذا التدخل السافر في شؤون الدين واستدعى له عددا من الشخصيات منهم : ديكلو، مارسو بيفرو دوريو ، وجان لونقي حفيد كارل ماركس.

ولكن الحكومة منعت الاجتماع واحاطت المكان بسياج من الشرطة، وامام هذا التعسف نقل مكان الاجتماع في الوقت نفسه إلى نهج كمبرون 18، وقبل ان تطلع الحكومة كان الاجتماع قد مر بسلام، وكان هذا يوم السبت. وفي يوم الاثنين صباحا بدأت التفتيشات عند مصالي وفي مركز الحزب الذي كان بمنزلي وكان قد اخبرني مصالي هاتفيا بتفتيشه لاخذ الاحتياط. وحينما وصلوا لم يجدوا شيئا، وبالرغم من هذا فقد وجهت تهمة إعادة تنظيم جمعية محلة والعمل ضد النظام وخلق الفوضى الى مصالي وعيماش وراجف.

وقد ركز قاضي التحقيق تهمته على نشرة داخلية تقول إن الأقلية يجب ان ترضخ لرأي الاكثرية، وعلق على هذا بان الحزب فاشستي، ولكن المحامي بيرطون اجابه بان هذا هو النظام والطاعة لان الفوضويين لا يعترفون بنظام.

وفي هذه المحكمة حكم على مصالي بستة أشهر سجنا وعيماش باربعة وراجف بثلاثة أشهر وخمسة الاف فرنك غرامة للثلاثة.

وقد طلب المتهمون استئناف الحكم ولكن المحكمة ايدت الحكم السابق، ثم رفعت القضية الى محكمة النقض والابرام فقررت اعادة المحاكمة واسندتها الى محكمة اميان.

وقد وقف المتهمون امام محكمة اميان يوم 7 ماي 1934، وبعد تسجيل هويتهم توجه القاضي الى المتهمين بقوله : «إنكم متهمون باعادة انشاء جمعية محلة من طرف الحكومة، والاخلال بالامن والاعمال الفوضوية». اجاب مصالي القاضي بقوله : «انكم تحاكموننا بقوانين غاشمة». فرد عليه القاضي موجها

كلامه الى المتهمين : «لا اريد ان اسمع الحق من فم عربي» وهنا اجاب المتهمون : «اذا كانت المسألة بهذه الكيفية فاننا ترفض الإجابة عن الأسئلة».

وفي 14 ماي كان من المنتظر ان تقع المحاكمة، ولكن محامي المتهمين اجاب قاضي المحكمة : «بما انكم لا تريدون ان تسمعوا الحقيقة من فم عربي عندئذ تريدون ان تسمعوا الكذب ولهذا فلا موجب للكلام». وفي هذه الأونة دخل حارس المحكمة واقترب من القاضي وحدثه في أذنه بان الوطنيين جاؤوا للمظاهرة هنا. فالتفت رئيس المحكمة الى الجزائريين وقال : «لو تحاولون اقلاق المحكمة لأمرت باخراجكم بالقوة».

وهنا تقدم المحامي بيرطون مجيبا رئيس المحكمة بان الجزائريين الموجودين هنا لم يأتو للتشويش ولكنهم جاؤوا للتضامن مع اخوانهم المتهمين. وقد رفعت الجلسة في انتظار الحكم بعد ايام.

والى أوائل سنة 1934 كانت النشاطات السياسية، اما باسم جريدة الأمة او باسم نجم الشمال الافريقي المحل. ولهذا رات ادارة الحركة أن تؤسس منظمة جديدة، تخلف الأولى تحت اسم «نجم الشمال الافريقي المجيد»، وبدأ العمل باسمها، الى أن قررت المحكمة في جويلية سنة 1934 ان الحل الاول للنجم كان غير قانوني، لانه لم ينفذ في الوقت المحدد، فاعيد للأول شرعيته.

وبمناسبة حوادث قسنطينة «اوت 1934» بعث الحزب بلجنة بحث بصحبها المحامي روبير لونقي وطالب بشير وبلجنة اخرى الى شمال فرنسا لجمع الاعانات لحوادث قسنطينة.

وقد حاولت لجنة الدفاع عن المسلمين الجزائريين في فرنسا التي كانت مؤيدة من طرف الاستعمار ان تشترك مع نجم الشمال الافريقي بمناسبة حوادث قسنطينة ولكن هذه الأخيرة رفضت واصحاب اللجنة هذه هم : منصوري، بهلول وايت علي.
وفي أواخر سبتمبر سنة 1934 وقعت حوادث تونس الشقيقة وذلك بحل الحزب الحر الدستوري، واعتقال قادته، ونفيهم الى الصحاري. وبهذه المناسبة نظم الحزب يوم 14 اكتوبر بنهج كامبرون رقم 6، اجتماعا كبيرا للتضامن مع الشعب التونسي والاحتجاج ضد القمع. ولكن الشرطة تدخلت لمنع الاجتماع، ووقعت مشادات بينها وبين الوطنيين، وأثناء هذه المشادة نادى احد الحاضرين اسمه فرسي : «الفرنسيون الى البحر»! فكانت السبب في محاكمة مصالي وعيماش وراجف، الاول بستة اشهر والثاني باربعة اشهر والثالث بثلاثة اشهر. وبعد رفع الحكم الى محكمة الاستئناف تضاعف الحكم فاصبح الأول سنة والثاني 9 اشهر والثالث 6 اشهر، وقد رفع الحكم الى محكمة النقض والابرام ولكنه رفض، ولهذا قررت اللجنة المركزية ان يذهب مصالي الى سويسرا، وبقي عيماش مختبئا ولكنه ضاق فسلم نفسه، اما راجف فقد اعتقل في ايسي ليمولينو.

وبمناسبة احتلال ايطاليا للحبشة، وقع اجتماع شعبي كبير للاحتجاج. وقد شارك فيه عدد كبير من الجمعيات الديمقراطية اليسارية وتاسست لجنة باسمه لتذهب الى جمعية الأمم للدفاع عن الحبشة، وكان مصالي من اعضاء اللجنة ممثلا للمستعمرات الافريقية والاسيوية. وقد تكلم في جمعية الامم واحتج على احتلال الشمال الافريقي من طرف فرنسا، وقد نبه على ان

الاجتماع خاص بالحبشة فاجاب ان الحبشة مهددة بالاحتلال اما الشمال الافريقي فانه محتل من قرن ويزيد.

وفي شهر سبتمبر من سنة 1935 انعقد مؤتمر مسلمي اوروبا بجنيف تحت رئاسة الامير شكيب ارسلان وقد حضرته لجنتان من الحزب، واحدة من مدينة ليون وتضم الجزيري وبداك، والاخرى من باريس وتضم مصالي الحاج وعيماش عمار وبانون اكلي، واذا كان مصالي قد وصل قبل افتتاح المؤتمر، فان عيماش والمتحدث قد اوقفوا على الحدود، وقد ذهبت لجنة المؤتمر لاستقبالهما في القطار، وكانت تتكون من مصالي الحاج والامير شكيب ارسلان واحسان الجابري ورفيق الامير وعلي الغياتي مدير جريدة الشرق العربي وكم كانت دهشتهم حينما وصل القطار ولم يجدونا فيه، وهناك نبههم مصالي بانه لا شك أنهم قد منعوا من الدخول وهم باقون في الحدود، ولم نصل الا في اليوم الثاني بعدما طلب منا «كوميسار» الحدود ان يعطينا اوراقنا ودراهمنا ان نحن بدلنا وجهتنا ورجعنا الى فرنسا، فرضينا ولما خرجنا من عنده بدلنا الطريق ودخلنا الى جنيف من ناحية ثانية، وكنا مصحوبين بالاخ بلكبير الذي كان تاجرا متجولا بسويسرا، وذهبنا رأسا الى نزل الشرق الذي انعقد فيه المؤتمر، وما ان وصلنا الى درج النزل حتى كان مصالي في انتظارنا وقد كان على علم بوصولنا، ودعينا الى اخذ مقاعدنا في المكتب الشرفي. وقد دام المؤتمر من 12 الى 17 سبتمبر، وقد تكلم عيماش عن سبب تاخرنا. وقد حضر المؤتمر كذلك مبعوثين من طرف الاستعمار، واحد من باريس والثاني من الجزائر وكانت مهمتهما الدفاع عن اعمال فرنسا في الجزائر، وقد حذرهم مصالي بقوله : «لو

تحاولون الدفاع عن فرنسا، لفضحناكم امام العالم». فاجابوه بكل وقاحة : «لو تتكلمون عن فرنسا وتستنقصونها لعارضناكم». ولم يتكلموا في المؤتمر.

اما الذي كان واسطة بين الأمير شكيب ارسلان وبين نجم الشمال الافريقي فهو السيد محمود سالم باي، وذلك في سنة 1932 وقد كان يسكن باريس، 18 نهج متز، بعد ما كان قاضيا دوليا بمصر وهو صاحب مبادرة «المؤتمر الاسلامي الاوروبي» بجنيف.

وفي سنة 1935 ايضا بعث نجم الشمال الافريقي الاخ خيضر عمار لتمثيل العمال الجزائريين في مؤتمر العمل العالمي بجنيف.

وقد كانت مظاهرات 14 جويلية سنة 1935 من الباستيل الى لاناسيون، خلف العلم الجزائري وتحت شعار «نجم الشمال الافريقي تضم اربعين الفا». اما مظاهرات 14 جويلية سنة 1936 في عهد «الجبهة الشعبية» كانت تضم ثمانين الفا .

وعند تاسيس حكومة «الجبهة الشعبية» التي انبثقت عن التجمع الشعبي الذي كان نجم الشمال الافريقي احد اعضائه، تاسست لجنة من الحزب تضم : مصالي الحاج، وعيماش عمار، سي الجيلاني، وبانون اكلي. وذهبت الى وزارة الداخلية وقد استقبلت من طرف كاتب الدولة للداخلية السيد راوول اوبو وقدمت له قائمة المطالب المستعجلة الخاصة بالحريات الديمقراطية، وقد وعد كاتب الدولة بتسليمها الى الوزير «روجي سالنقرو».

وقد سلمت اللجنة تصريحا لجريدة الطان حول مقابلة كاتب الدولة للداخلية. وعندما وصلت لجنة المؤتمر الاسلامي الجزائري الى

باريس لتقدم مطالب الجزائر، بعث نجم الشمال الافريقي لجنة لمقابلتهم، تتألف من : مصالي الحاج، عيماش عمار، بانون اكلي وسي الجيلاني. وبدأت المحادثة بشأن مطالب اجتماعية تهم الجماهير الجزائرية، واتفق الطرفان على مواصلة الحديث غدا صباحا. ولكن في الصباح ذهبت اللجنة الى وزير الداخلية وقدمت له المطالب المحتوية على الحاق الجزائر بفرنسا. وعند رجوعهم من وزارة الداخلية استدعتهم لجنة نجم الشمال الافريقي الى الاجتماع في نهج «سان بوف» الناحية السادسة. ولكن لم يلب الدعوة منهم الا السيد فرحات عباس والشيخ ابن باديس وطاهرات.

وبدأت المناقشة حول الحاق الجزائر بفرنسا. فاجاب عباس وطاهرات بانها الطريقة الوحيدة للتمتع بحقوق الفرنسيين، وانها احسن سياسة. الا ان الشيخ ابن باديس حينما استمع للتحليلات التي قدمها اصحاب الحزب وافقهم عليها، وبدأ يعارض اصحابه، وهذه كانت من جملة الاسباب التي فرقت بينه وبين الشيخ العقبي فيما بعد.

وفي أوائل شهر اوت وصل مصالي الى أرض الوطن والقى خطابه التاريخي في الملعب البلدي. وقد استقبل من طرف فرع العاصمة لنجم الشمال الافريقي الذي تأسس عام 1933 بكيفية طريفة وذلك ان ابن اخي اشترى كتابا عربيا وعنوان المكتبة هو 15 نهج راندون فبعثت عددا من جريدة الامة في وسط جريدة فرنسية، وبعد ما قرأوه طلبوا منا عشرة اعداد ثم عشرين ثم مائة. وفي الاخير بعثوا لنا بعنوان كشك للجرائد بساحة الحكومة يدعى «بودوغليو» وقيمة الجريدة كانت 10 صولدي للجريدة والباقي للبائع. اما الاعداد الاولى فكانت بلا شيء.

وتاسس اول فرع للنجم في «بوفاريك» من طرف الاخ جبار اكلي (وكان الفرع يضم الاغلبية من العاصمة واول مناضل اتصل بالادارة في باريس كان الاخ مسطول عام 1934.

وقد قام مصالي بعدة اجتماعات واسس عدة فروع وقد كانت جولته عبر القطر الجزائري اكبر فائدة للحركة.

وفي آخر سنة 1936 رجع مصالي إلى فرنسا ونظم اجتماعا عاما للمناضلين. وفي هذا الاجتماع قدم راجف اقتراحا مفاده: ان اللجنة المركزية لا يمكن أن يكون عضوا فيها الا من كان يعرف القراءة والكتابة. وقد صودق على الاقتراح. وعلى اثره خرج ابن مسعود عبد القادر والمتحدث. وفي 26 جانفي حلت حكومة الجبهة الشعبية حركة النجم الشمال الافريقي بمواطأة الحزب الشيوعي الذي كان يحقد على الحركة لانها رفضت أن يذهب الجزائريون إلى الحرب الاهلية الاسبانية من غير أن تتعهد الجمهورية الاسبانية باستقلال الريف، ثم أن نجم الشمال الإفريقي كان غريم الحزب الشيوعي من ناحية العمال وكان هذا الأخير يود أن يتخلص من غريم خطير.

وما ان سمع العمال بحل الحركة حتى بدأوا بتمزيق أوراق انخراطهم في الحزب الشيوعي والنقابة وخروجهم منها.

ومن ناحية أخرى فإن الذين انتخبوا في اللجنة المركزية الجديدة قد ابتعدوا عن الحركة لانهم لم يكونوا مستعدين للكفاح.

وبالرغم من حل الحركة من طرف الجبهة الشعبية، فانها بقيت دائما بجانب اليسار الفرنسي.

وقد بعث الحزب الشيوعي إلى الجزائر بارطيل ودلوش، الأول كأمين عام للحزب، والثاني كاختصاصي في المسائل الأهلية اقتداء بالإدارة الاستعمارية.

وهكذا تأسس حزب الشعب الجزائري بنانطر في اجتماع عام تحت رئاسة مصالي الحاج العملية، والشرفية للسيد أحمد مسياح، وفي نفس السنة رجع مصالي إلى الجزائر وقد اعتقل بعد بضعة أسابيع مع جماعة من اللجنة المركزية وذلك في شهر أوت، وقد حكم عليه وعلى من معه بسنتين سجنا.

وما أن خرج من السجن في سنة 1939 حتى اعتقل من جديد وحكم عليه في 21 مارس 1941 بستة عشر عاما سجنا مع الاشغال الشاقة هو والجماعة الذين كانوا معه، ونقلوا جميعا إلى سجن «لامبيز» حيث تجرعوا الجوع والضغط والإرهاق، وبعد ستة أشهر من نزول الحلفاء بالجزائر خرجوا من السجن وأرغم مصالي على الإقامة الإجبارية في شلالة وبعدها عين صالح وأخيرا «برازافيل».

إن اشتداد الضغط الذي تواصل من سنة 1937 إلى سنة 1939 على حزب الشعب جعل بعض مسؤولي الحزب بفرنسا يفكرون في ايجاد غطاء لنشاطهم يقيهم ضربات الاستعمار المتوالية. فقد كانت السجون مملوءة بالإطارات التي كانت موجودة آنذاك. وهكذا فكروا في اتخاذ لجنة للدفاع عن الجزائريين بفرنسا التي بقيت صورة فقط لا تقوم بأي عمل والتي أسست سنة 1932 لمناوأة الحركة الوطنية بفرنسا. وقد وقفت اللجنة المركزية ضد هذا التفكير واستدعت اجتماعا عاما بنهج سان شارل 112 الناحية الخامسة عشرة. ووقعت

مناقشة حادة وفي الأخير قرر الاجتماع البقاء على الحزب وعدم الانخراط في أي منظمة.

وأصحاب هذه الفكرة هم : راجف، سعيد وعمر، ايت منقلات، وخيدر عمار، وقد استقالوا من المكتب السياسي وبقوا في اللجنة المركزية إلا ايت منقلات فقد خرج من الحزب، ثم تأسس مكتب جديد يضم: بانون اكلي، شعبان علي، اكشيش محمد، سعيد وعمر، العروبي محمد العربي. وقد اشتد الضغط فاعتقل السي الجيلالي صاحب امتياز جريدة الأمة ونقل إلى بربروس وبعدما قضى ستة أشهر في السجن حكم عليه بشهر واحد. فأخذ مكانه في الجريدة شعبان علي وبعد شهرين أو ثلاث اعتقل كذلك. فخلفه العروبي محمد العربي.

في شهر ماي سنة 1939 وجهت تهمة إعادة منظمة محلة إلى أعضاء اللجنة المركزية بصفة جماعية. وفي سنة 1941 استدعى قاضي التحقيق لمحكمة «لاسين» جميع الأعضاء المتهمين بإعادة منظمة محلة ثم تأخر التحقيق إلى أجل غير مسمى، وفي هذه الفترة كان الأخ خيدر عمار قد انخرط في الجبهة الاجتماعية للعمل التي كانت تعمل لألمانيا وتوصل إلى الحصول على الوثائق الخاصة بالحزب الموجودة بالولاية ومزقها وهكذا لم يبق للتهمة أي وثيقة، في 9 جانفي من سنة 1940 اعتقلت وأخذوني إلى سجن فرنسي يوم 11 مارس، وفي 17 ماي ذهبوا بي إلى بواسي، في 11 جوان إلى انجر وفي 16 جوان إلى جزيرة دوري، وردوني من جزيرة دوري إلى بواسي أول سبتمبر، وسرحت يوم 25 نوفمبر من نفس السنة. ثم اعتقلت مرة أخرى في 23 سبتمبر سنة 1942 وبقيت 75 يوما في السجن ولكن المحكمة وجدت التهمة غير قانونية فاطلق

سراحي ولكن بمرسوم إداري وجهوني إلى معتقل في فرنسا ثم نقلوني إلى ألمانيا في 9 ماي سنة 1944 في معتقل كذلك وبقيت إلى 16 جوان سنة 1945 حيث أطلق سراحي.



مسيرة للجزائريين بباريس، من اليسار إلى اليمين : اكلي بانون، راجف بلقاسم، لحول حسين، مولاي مرباح، وبن قطاط



مسيرة للجزائريين بباريس، من اليسار إلى اليمين : اكلي بانون، راجف بلقاسم، لحول حسين، مولاي مرباح، وبن قطاط



مسيرة للجزائريين بباريس، من اليسار إلى اليمين : اكلي بانون، راجف بلقاسم، لحول حسين، مولاي مرياح، وبن قطاط

الفهرس

الكتاب الأول

الكتاب الثاني



أنجز هذا الكتاب من طرف

دار القصبة للنشر

حي سعيد حمدين - حيدرة - 16012، الجزائر

الهاتف : 10 79 54 / 11 79 54 021 الفاكس : 77 72 54 021

موقع الإنترنت : www.casbaheditions.net

البريد الإلكتروني : casbah@casbaheditions.net

الجزائر 2005



أنجز هذا الكتاب من طرف

دار القصبة للنشر

حي سعيد حمدين - حيدرة - 16012، الجزائر

الهاتف : 10 79 54 / 11 79 54 021 الفاكس : 77 72 54 021

موقع الإنترنت : www.casbaheditions.net

البريد الإلكتروني : casbah@casbaheditions.net

الجزائر، 2005